الجنولوجيا

منشورات أكاديمية جنولوجي

الجنولوجيا

منشورات أكاديمية جنولوجي

2008jineoloji@gmail.com

jineoloji.org

الطبعة الأولى 2020

الجنولوجيا

الفهرس

المدخل..... 7

الفصل الأول

احتكار العلم والمعرفة من قبل الرجل..... 11

كيفية معالجة العلم الذكوري لقضية تحرر المرأة..... 16

متى طرح علم المرأة؟..... 20

لما الحاجة إلى الجنولوجيا (علم المرأة)؟..... 30

الفصل الثاني

أين المرأة من نسق الحقيقة؟..... 57

أولا: الميثولوجيا (علم الأساطير)..... 59

ثانياً: الأديان..... 63

ثالثا: الفلسفة..... 67

رابعاً: العلم..... 73

الفصل الثالث

الميادين التي يعمل فيها ويهتم بها علم المرأة..... 79

1- علم الاخلاق وعلم الجمال.....80

2- الايكولوجيا "علم البيئة".....84

3- علم الاقتصاد.....87

4- علم التاريخ.....88

5- التدريب والتربية.....90

6- الديمغرافيا "علم السكان".....95
7- علم السياسة.....99
8- الصحة.....102
الفصل الرابع
إنجازات علم المرأة "الجنولوجيا" 107

المدخل

تولت المرأة في هذه البلاد لأول مرة عرش الآلهة كما وأنها خُلعت لأول مرة عن عرش الآلهة أيضاً على هذه الجغرافية. طورت المرأة الحقوق الاجتماعية في هذه المنطقة والتي كان مركزها الام، وفي هذه المنطقة أيضاً عاشت المرأة لأول مرة الذل والانكسار من قبل النظام الذكوري، وما نتائج الميثولوجيا والثيولوجيا والفلسفة والعلم إلا إثبات لهذه الحقيقة.

الشرق الاوسط شاهدٌ على أن المرأة بعثت الحياة في منطقة بلاد الرافدين (ميزوبوتاميا)، كما وأنه شاهدٌ على قتل المرأة. التي تولت في هذه الرقعة الجغرافية لأكثر من عشرة آلاف سنة إدارة المجتمع. ولكن ومنذ خمسة آلاف عام سُحقت تحت أقدام أولئك الذين استولوا على عرشها، ومع هذا بقيت جذور المقاومة والحياة حية لم تنضب ولم يستسلم حبها للحرية لتلك الهجمات ولهذا نرى اليوم بأنها تنبت مرة أُخرى فوق جذور المقاومة هذه.

من خلال التمحيص بنضال المرأة بأفراحها وأتراحها، نجاحها وإخفاقها، حالتها الروحية والوجودية وهويتها الشخصية التي يجب أن تنشأ من جديد، نستنتج بأننا كلما بحثنا وفهمنا حقيقتها ستقوى جذور المقاومة لدى المجتمع أكثر. فالشرق الأوسط الذي أُنشأ بكفاح المرأة مُشبع الآن بالمآسي الاجتماعية نتيجة الإيديولوجية الجنسوية المُطبقة على المجتمع بأكمله، وذلك من خلال تمرير هذه الممارسات على المرأة اولاً وجعل المجتمع والحياة والانسان فارغين المحتوى. ولهذا تعمل الجنولوجيا على اظهار قوة العقل الاجتماعي والتي مركزها المرأة وإعادة صياغة علاقة الانسان مع محيطه وعلاقة المرأة والرجل مع بعضهما البعض.

يركز الجنولوجيا على عملية إيجاد حلول لمسألة هدم ثقافة المرأة بإنكارها وقتلها واستعبادها. وبالمقابل من ذلك، تعمل على تطوير المرأة بتوعيتها،

كما تبحث الجنولوجيا عن الأجوبة الاساسية المتعلقة بكافة الظواهر الاجتماعية وبالمرأة على الأخص والعلاقة بين المرأة والرجل وكيفية تحقيق المساواة فيما بينهما. ومن أهم ما يقوم به علم المرأة" الجنولوجيا" هو وضعه لنظرية الحياة، إضافة للمخططات العملية الراسمة لأُطر الحياة التي يجب أن تُعاش، والأساليب التي تُساعد على غربلة الرواسب والانحرافات التي طُبعت بها الحياة الاجتماعي. فالحياة المفروضة على البشرية برمتها، لم يتبقى فيها ما يمكننا التمسك به، لننطلق منه ونمنح لقب الحياة لما يجري. ولعل الإجابة على سؤال كيف سنعيش؟ هو الركيزة الأساسية لرفض هذا النموذج الذي يدعون بأنها الحياة، وأيضاً الخطوة الأولى لبناء حياة تشاركية حُرة، بعيداً عن الأنماط الخاطئة للحياة. فكما يقول عالم الاجتماع تيودور أدورنو:" بأن الحياة الخاطئة لا يمكن أن تُعاش بشكل صحيح". إذاً لا يُمكننا العيش في حياتنا هذه المليئة بالأخطاء، وفي الوقت ذاته ندعي بأنها حياة بكل ما تعنيه الكلمة. ولا يبقى عمل الجنولوجيا عند هذا الحد بل يبحث ويدرس ويحلل كل الاطروحات العلمية الخاصة بكافة ميادين الحياة ومنها التاريخ، الديمغرافية، السياسة، الاقتصاد، الصحة، الأيكولوجيا، الجمال والأخلاق، التعليم والتدريب ...الخ. فاهتمام الجنولوجيا بهذه القضايا والمجالات ينبع من نظرتها لأهمية استمرار وديمومة الحياة البشرية بوعي وروح وقوة المرأة، لنحيّ من خلالها الإنسانية ونسويتنا مرة أُخرى.

بعض الظواهر في الحياة الكونية تكون عابِرة، ولكن إن كانت هذه الظواهر هي ظواهر إجتماعية فلا يمكن الهروب منها بتاتاً. فالمجتمعية هي خاصية الإنسان التي تميز بها، مع العِلم أن الكثير من الكائنات الحية الأُخرى لديها مجتمعيتها الخاصة بها. لكن وكما قُلنا إن مجتمعية الإنسان كانت لها الكثير من سماتها المُميزة، كاحتوائها على قوة عقل مجتمعي كبيرة. بني الإنسان عمل على أن يتخطى ضعفه بتطوير مجتمعيته التي

تحولت في العديد من الجوانب إلى سر وشيفرة بقاء وجوده في الحياة الكونية. لكن لا يمكننا التغاضي عن كون هذه المجتمعية كانت بيد المرأة. نعم المرأة، التي لا يمكننا الهروب من التطرق لدورها وتأثيرها على تكوين الحياة الاجتماعية، ذلك لأنها بحد ذاتها تحولت الى حقيقة إجتماعية لا يُمكن الهروب منها، ولتُصبح رمزاً للحياة على مر التاريخ الإنساني.

عندما ننظر الى المسميات التي سُميت بها المرأة من قِبل المجتمعات وقبل تطور الجنسوية الاجتماعية، فإننا نلاحظ، بأن معظمها تحمل معان ترمز إلى أن المرأة هي" الحياة، الحي، الروح، المكان او الأرض". ومن بعض التسميات التي لقبت الشعوب المرأة بها:

" آشت" باللغة الهورية القديمة، و" نيتا" بالسومرية، وبالفارسية" زن"، و" كن" بالأرمنية، بالرومانية "كيما"، بالألمانية" فراو"، باللاتينية"فامينا"، بالعربية "المرأة"، بالصينية" كين"، بالعبرية" إيشا"، بالتركية" كادن" ...الخ من مسميات تُطلق على المرأة. البارز في جميعها بأنها دائماً قريبة الترميز للحياة، أي ان المرأة أُعتبرت في قوة العقل المجتمعية التاريخية بأنها رمز للحياة. لهذا كانت بشكل مستمر رمزاً وسراً إتخذه المجتمع لبقاء وجوده.

إن رغبنا بمعرفة كيف تحولت هذه المسميات التي عبرت عن تقدير كبير للمرأة، الى مسميات تصغر من قيمة المرأة، بل ولا تعترف بوجودها، فيتوجب علينا البحث عن الحلقة الضائعة من المعادلة الاجتماعية والتي جعلت المجتمع بأكمله ينحرف عن مساره الحقيقي. وليكون بمقدورنا من تغيير ذواتنا ومجتمعاتنا. ومعرفة ماهية الحلول المرتقبة للخروج من الأزمات الاجتماعية التي يحياها مجتمعنا، فيجب علينا أولاً الغور في خفايا التاريخ وتحليل كل جوانبه وعلى رأسها الذهنية المتشكلة على حِساب إنهاء عقل المجتمع وإرادته. لذا من الواجب تقييم وتفسير ما أُنتج

من قِبل مؤسسة الدولة سواءً من عِلم أو ذهنية، والنظر لها بعين الشك. حينها فقط سيكون بمقدورنا وضع التاريخ مرة أخرى على مساره الصحيح. ولهذا توجب علينا أن نركز في الأقسام الأولى من كراسنا هذا على ماهية العلم المنتج وطبيعته والتلاعب الذي حدث بعقل الإنسان ومجتمعه" الطبيعة الاجتماعية".

الفصل الأول

احتكار العلم والمعرفة من قبل الرجل

ان التطور التكنولوجي والاجتماعي أدى مع الزمن الى فائض في الإنتاج، مما أدى الى ظهور علاقات جديدة في المجتمع. يمكننا تقييم وتقسيم أسباب انحلال المجتمع الطبيعي والذي استمر تقريباً من عام 1500 ق.م الى أعوام 3000-2500 ق.م. الى شكلين من الأسباب خارجية وداخلية.

فالأسباب الخارجية: كان طمع القبائل التي كانت تعتمد على الصيد والرعي (والتي تكون الخاصيات الذكورية فيها أكثر كثافة) في فائض الإنتاج الموجود في القبائل التي تعتمد على الزراعة (والمتمحورة حول الآلهة الأم). ومن اجل الاستيلاء على القيمة الزائدة باستخدام العنف، وذلك بشن غزوات على تلك القبائل فيتم نهبها والاستيلاء على كل ما هو عائد لها. او عن طريق التجارة بالنفوذ الى تلك القبائل فيتم تطوير نظام التملك والذي كان غير موجود في المجتمع الطبيعي. ليؤدي ذلك ومع الزمن الى انحلال الأخلاق التي كان يحرم فيها من تراكم القيمة الزائدة. وكان يتم نبذ الذي يقوم بأمر كهذا. لأنه بدل من المقايضة وغيرها من أساليب تبديل الحاجات كان نظام تقديم الهدايا هو السائد.

أيضا يمكن القول ان ثقافة الصيد التي كانت سائدة في بعض المجتمعات كانت تؤدي الى استخدام الحيلة، المؤامرة وزرع الأفخاخ أمام الكائنات الحية. والذي يعني الانقطاع عن الذكاء العاطفي والانحراف الذهني بالنسبة للإنسان، استيلاء هذه الذهنية على المجتمعات التي تعتمد على الزراعة أدى الى تطوير الأساليب عينها على الإنسان من اجل استثماره،

وهكذا تطورت الطبقية في المجتمع، فيتم أولا الاستيلاء وبعدها القضاء على قيم المجتمع الامومي وكل ما هو عائد للمرأة والمجتمع الطبيعي.

يمكن القول ان التغيير الذي حصل كان بمثابة ثورة مضادة لكل الثورات التي كانت قد تحققت في ظل المجتمع الطبيعي، والذي كان للنساء الدور الريادي في تطويره، فتطور حاكمية الرجل وتسلطه لم يحقق الأفضل للمجتمع البشري. بالعكس تماما أدى الى نتائج وخيمة بحيث لا يمكن التخلص من أثارها حتى الوقت الراهن. إن هذا الإجحاف بحق المرأة نلاحظ أثاره ومعالمه في الأساطير، ذلك إن ما كانت تتعرض له المرأة من تمزق في الأساطير كانت انعكاساً للتمزق الروحي والإرادي التي باتت تحياه على أرض الواقع.

بالطبع طرأ تغيير كبير على طريقة تفكير الإنسان واستخدامه للعلم. فقبل كل شيء تم الاستسلام للتزمت والدوغمائية وتم الانقطاع عن الطبيعة، بحيث تحولت الحرب الى أكبر فضيلة، وتم وضع العلم في خدمة تطوير آلات الحروب وترسيخ السلطة. يمكن رؤية مدى ابتعاد العلم عن خدمة الإنسان بشكل واضح، من خلال الآلات والأسلحة التي اخترعت. فإنقطاع الذكاء التحليلي عن الذكاء العاطفي يعتبر أفظع تحريف تعرض له الذهن البشري، وسيطرة الذكاء التحليلي على فكر الإنسان أدى الى ابتعاده عن الأخلاق وعن المجتمعية وباتت الحرب، الظلم، الاضطهاد من الامور الطبيعية. لذلك فأن تأسيس الجيوش والقيام بالنهب والسلب وتحويل الإنسان الى عبد كان نتيجة الخلل الذي تعرض له التوازن الذي كان موجوداً بين الذكاءين التحليلي والعاطفي.

انها مرحلة جذرية بالنسبة للذكاء التحليلي. والموضوع الذي عُني به هذا النموذج من الذكاء بالأغلب هو إيجاد القواعد المساعدة على إدارة العبيد، وإبرازها لهم كتعاليم الإله الخالد. تتأتى عظمة الرهبان السومريين

والمصريين من الأهمية القصوى التي يتسم بها هذا الموضوع في تاريخ البشرية، فذكاءاتهم المنقطعة عن المجتمع الطبيعي وحياته، ابتدعت نظاماً تصويرياً ميثولوجياً مدهشاً وكاملاً. ولكي يقنعوا العبيد بكل ذلك، أسسوا الأنظمة المدرسية أو الأكاديمية(مصاقدين) والمعابد والهياكل على نحو أكثر إثارة للدهشة وأكثر سلباً للعقول، وبإحلالهم الديانات التي يغلب عليها الإله الحاكم المقتدر، محل الديانات الروحانية الغير خطيرة، والتي كانت سائدة في المجتمع الطبيعي؛ طوروا الخنوع والإذعان على الدوام. وافهموا العبيد بدقة لا متناهية دوافع ضرورة خوفهم من الآلهة الجديدة بتحريفهم لماهية مشاعر الخوف. ولأول مرة في التاريخ، اوجدوا اليوتوبيات المتضمنة مصطلح الجنة والنار. انهم بذلك يطورون أصلا النظام الإيديولوجي اللازم للامتثال التام لطبقة الأسياد الجدد، وإطاعتها. اما كون طراز تفكيرهم ميثولوجياً، فهو يتناسب وروح عصرهم. في الحقيقة ان الديانة الأرواحية (ANIMISM) تنادي بالحرية والمساواة. في حين ان الدين الجديد ذا الميثولوجيا الغالبة، هو دين الطبقة، دين العبودية واللامساواة. ويأمر بالاعتماد أساسا على الإذعان المطلق للآلهة (الأسياد). هذه الثورة الذهنية المضادة المتحققة في تاريخ البشرية هي بحق إحدى أعظم انطلاقات الذكاء التحليلي. انها تطور العقل الطبقي، وغدا واجباً إعادة صياغة التاريخ والآداب والفن والقانون والسياسة. وفقاً لهذه الذهنية الطبقية. فلقد شرعت الإيديولوجية الطبقية المهيمنة فيها، بولوج الدروب اللازمة لتغدوا مجتمعاً فوقياً ودولتياً. اما إيديولوجية المرأة الآلهة، المتبقية من المجتمع الطبيعي فستستعمر وتستغل تدريجياً، وستفرغ من محتواها وتذاب، لتحفز بالتالي على خدمة نظام الرجل الإله تماما مثلما تحفز المرأة على خدمة الرجل (أي على الدعارة العامة والخاصة). وسيتحول كافة أعضاء المجتمع الطبيعي، الأحرار والمتساوين الى طبقة عبيد جديدة.

ان الثورة المضادة المتحققة في المجتمع السومري على شكل تحول عقلي هي الاوطد والأكثر جذرية في التاريخ؛ إنما غيرت براد يغما الإنسانية - وجهة نظرها الأولية تجاه الطبيعة والكون -من جذورها، وفي مقدمتها المجتمع الشرق أوسطي. فمفهوم الطبيعة والبيئة الحيويتين في المجتمع الطبيعي متنوع ومثمر. وهو لا ينظر الى الطبيعة كظالم او شبح، بل يراها كالأم، فلفظ "أماركي AMARGI" الذي يرمز الى الحرية في اللغة السومرية، إنما يعني في الوقت نفسه العودة الى الأم. وحتى هذا اللفظ لوحده يسلط الضوء بكل جلاء على ذهنية الثورة المضادة المتحققة.

إن الاستبدادين القمعين والاستعمارين - المرفوعين الى ما فوق وخارج المجتمع، في مواراة أنفسهم تدريجياً-، قد جففوا الطبيعة وأصابوها بالقحط. وثمة تصعيد لمفهومي الطبيعة الميتة، الطبيعة المادة. ومثلما هو حال العبيد في الميثولوجيا والمخلوقين من براز الآلهة، فسيحط من شأن كافة الكائنات الحية مع مرور الزمن. يجب النظر الى هذه البراد يغما المتجذرة تصاعدياً على انها السبب الرئيسي في حالة الإغماء التي يعاني منها مجتمع الشرق الأوسط اليوم، وعجزه عن الصحو، بعد ان شلت ذهنيته تقريباً. في حين ان المجتمع الأوربي لم يتمكن من دك دعائم هذه البراد يغما وتحطيمها، الا بقيامه بالثورة الكوبرنيكية، بعد إطرائه الإصلاحات على ديانته المسيحية. فداهية تنويرية مثل جيوردانو برونو، احرق حياً بسبب دفاعه الصارم عن مفهوم الطبيعة الحية. في الحقيقة ان تغيير البراد يغما يعني التغيير الجذري في رؤية الإنسان للطبيعة ولنفسه كجزء من هذه الطبيعة.

هذا يعني ان الانفصال بين المادة والروح قد تطور منذ عهد السومريين. ليتم بعدها كل ما هو موجود وفق هذه الثنائية فتتحول الطبيعة، النساء، البرابرة، العبيد مع الزمن الى "الشيء"، ويتحول القادة، الرهبان،

الرجال، أصحاب السلطة "الى الذات". ان أسلوب التفكير هذا أدى في الحياة المادية الى استغلال الرجل للمرأة والإنسان للطبيعة وبالتالي تراكم رأس مال بشكل منظم. والجدير بالذكر ان (رجال العلم) قاموا بشرعنة عملية السيطرة هذه بتأييدها نظرياً وعلمياً. فكل من فرانسيس باكون وديكارت يشكلون أمثلة بارزة من هذه الناحية. بهذا نرى ان العلم مع الزمن قد تداخل بشكل فظيع مع راس المال والسلطة. فكل تطور علمي وبدلاً من ان يخدم حرية الإنسان وتطوره بات مهنة تدر المال. ليس هذا فحسب بل ان التكنولوجيا والعلم يستخدمان من اجل وضع عقل وذكاء الناس تحت المراقبة ويضعانه تحت قصف دائم بحيث يعجز الإنسان عن التفكير بإبداع. فتشل كل ردة فعل لدى الإنسان بحيث يتحول الى إنسان إلى مفقود الإرادة لا حول ولا قوة له.

بالطبع القصف لا يقتصر على الناحية الفكرية والروحية فحسب، بل ان مراكز العلم تحولت الى مراكز صنع أسلحة الدمار الشامل. فالأسلحة النووية وغيرها من التخريبات التي تتعرض لها الطبيعة بما فيها من كائنات، واللعب بصبغياتها وجوهرها أدى الى تحول العلم الى وحش يقوم بالهجوم على الإنسان. فالنظام الرأسمالي والذي يشكل ذروة النظام الذكوري احتكر كل ما هو مرتبط بالعلم والمعرفة وتم وضعهما في قفص السلطة والربح الأعظم. فالأكاديميات ومراكز العلم التي باتت بعيدة عن المرأة، عن الفقراء، وعن المجتمع وقعت بأيادي رجال الأعمال والسلطة.

بهذا فقدَ العلم والمعرفة قدسيتهما لأنهم فقدوا خاصيتهم الأساسية وهي تحرير الإنسان من كل ما يُكبل عقله وإرادته، ايضاً لأنه انقطع عن أخلاق الحرية وعن الضمير الجماعي للمجتمع. فبدل من تقديمه الحل لما تعانيه الإنسانية من أزمات ومشاكل، نرى انه هو نفسه تحول الى مشكلة وتلقى حصته من الأزمة التي تعاني منها الحداثة الرأسمالية. كما ويمكننا القول

ان أحد أسباب الأزمة التي تعاني منها البشرية هي الأزمة والانحراف التي يعاني منها العلم بحد ذاته.

كيفية معالجة العلم الذكوري لقضية تحرر المرأة

واضح جداً ان التغيير الجذري الذي طرأ على نوعية وأسلوب التفكير لدى الإنسان خلال هذه الفترة الزمنية، أثر وبشكل كبير على افتقار وعجز العلم الموجود في المعالجة السليمة للقضايا. ويمكن القول ان من أكثر القضايا التي تعرضت للتحليل الخاطئ والغير موضوعي هي قضية المرأة. لان احتكار العلم من قبل الذهنية والسلطة الذكورية كان السبب الرئيسي في عدم التعريف العلمي السليم لما تعاني منه المرأة. ولن يكون من المبالغة القول ان النظام الذكوري عمل بوعي وبشكل متعمد على طمس وإخفاء الحقيقة عن المرأة والمجتمع كي يتمكن من الاستمرار في تسلطه ولكي يطيل من عمر نظامه الاحتكاري هذا. لذلك وكون المرأة أول ضحية للثورة الفكرية المضادة، فان قضية تحرر المرأة تعتبر من أكثر القضايا التي تم تفريقها عن جوهرها وأكثر المواضيع التي أهملت من قبل المهيمنين على العلم.

عندما نبحث في الكتب المتعلقة بعلم الإنسان، نرى وقبل كل شيء انه يتم منح أهمية كبرى لكل ما هو متعلق بالرجل. فيتم تقييم عمل الرجل على انه عمل اقتصادي في حين ما تقوم به النساء هو عمل البيت وما تقوم بالحديث عنه ليس سوى عبارة عن القيل والقال. فنرى ان عملية الصيد التي يقوم بها الرجل تقيم من قبل الرجل على انها عملية أساسية بالتطور البشري، ويجعلونه المحور الرئيسي الذي تطورت حوله الاختراعات الجماعية، من التطور الفكري والعقلي، وعملية التطور الاجتماعي وقوة

التنظيم. في حين عملية جمع الفواكه وغيرها من النباتات بشكل مستقر من قبل النساء هذا بالإضافة الى دور الأم في تربية الإنسان وفي عملية تطور الإنسان يتم تهميشه ولا يتم تقييمه على انها عملية مهمة من اجل تأسيس المجتمعية.

هذا وتم التأكيد من قبل الكثير من (رجال العلم) على ان البنية الفيزيائية هي المعين لمصير حياة الإنسان. وتم ربط كل الخاصيات لدى الجنسين بالبنية البيولوجية. ليتم التركيز من قبلهم على ان الفرق الموجود بين البنية الجسدية للجنسين ليس فرقاً او خاصية إنما هو نقص بالنسبة للمرأة ونقطة قوة من اجل الرجل. ليتم بذلك شرعنة النظام الذكوري، حيث قيموا بذلك تحكم الرجل على انه أمر طبيعي، وحسب نظرتهم فان الطبيعة هي التي فرضت ان تكون المرأة ضعيفة وان يكون الرجل قوياً ومسيطراً. هذا التحليل الخاطئ لوضع المرأة أدى الى التعريف الخاطئ للرجل أيضا. وهذا يعني ان علم الإنسان نتيجة إفتقاره لنظرة متكاملة، سليمة، حيادية وأخلاقية أدى الى تحريف النظام الاجتماعي بشكل عام.

يمكن رؤية نفس الشيء بالنسبة لعلماء النفس ايضاً. فنرى ان الماسوشية تعتبر أمراً طبيعياً بالنسبة للمرأة في حين تعتبر أمراً سيئاً من اجل الرجل. ويتم التأكيد على ان النرجسية أمر يحتاج إليه الرجال في حين يعتبر أمراً غير ممكن من اجل النساء. الخمول من اجل الرجل أمراً محزن في حين عدمه يعتبر تراجيدية من اجل النساء. ولم يُكتفى بهذا بل أنه فُسرَ كل ذلك على أنه نقص متواجد في المرأة. ففي هذه المسألة يعتبر عالم النفس فرويد من العلماء الذي فسروا كل العقد النفسية للمرأة على انه نتيجة عقدة النقص التي تعانيها المرأة أمام الرجل من الناحية البيولوجية. في حين نظرته الذكورية الضيقة أدت الى عدم تمكنه من رؤية وتحليل تأثير ثقافة المجتمع الجنسوي على نفسية المرأة. بذلك وبقدر ما عجز عن تحليل

نفسية المرأة والعقد النفسية التي تعاني منها بشكل موضوعي، عجز أيضا عن تحليل العقد النفسية التي يعاني منها الرجل في ظل هذا النظام الذي يفتقر للحرية، العدالة والمساواة.

من هنا يمكن التعرف وبشكل واضح على أن علم النفس وحتى قرابة الستينات من القرن العشرين بقيَ تحت تأثير هذه الرؤية القاصرة. ولان تشخيص الأمراض لم يكن موضوعياً وسليماً، لذلك فطرق المعالجة ايضاً لم تكن صحيحة، ومما أدى الى تعمق الأزمات النفسية لكلا الجنسين بشكل أكثر. بمقدورنا القول وبكل سهولة، ان الرؤية الفرويدية مازالت سائدة وبشكل واسع على الفئات الاجتماعية. والجنايات اليومية والانتحارات التي باتت لا تعرف الحدود هي نتيجة عدم التحليل السليم لمعاناة الجنسين.

لقد تطرق القائد اوجلان في مرافعته "سيسيولوجيا الحرية " الى هذه الرؤى الخاطئة بالنسبة لعلم الاجتماع بهذا الشكل: "علم الاجتماع والذي يُفترض عليه البحث والتحري في حالة نشوء الطبيعة الاجتماعية وتطورها تأسيساً على المجتمع الأخلاقي والسياسي، نرى انه ايضاً لم يتحرر من الرؤية الذكورية، ليس هذا فحسب بل إن لمدارس علم الاجتماع المختلفة ووحداتُها المتباينة في حقل البحث المصير ذاته. فالثيولوجيا والدين يتخذان من المجتمع أساساً. بينما تتأسس الاشتراكية العلمية على الطبقة. وفي الليبرالية فإن الفرد يعتبر المكون الأساسي فيها. بالرغم من إختلاف التسميات الا انها جميعاً تتفق في تهميشها لدور المرأة. لذلك عجزت عن التركيز على النقاط الحياتية بالنسبة للمجتمع ولم تتمكن من الوصول الى نظرة كلياتية متكاملة.

فقد تم تفسير تطور المجتمع بشكل ملتحم مع وجود الدولة، الرجل، الطبقة، الاستغلال، السلطة والمدينة. علينا ان لا نتناسى ان السوسيولوجيا (علم الاجتماع) كانت قد نبعت من الحاجة لحل قضايا المأزق والتناقض

والصراع والحرب المتفاقمة، والتي أسفرت عنها احتكارات راس المال والسلطة. حيث كانت الأطروحات تُصاغ الواحدة تِلوَ الأخرى ومن جميع الاتجاهات في سبيل إنقاذ النظام وجعله قابلاً للعيش. الا ان المقاربة بالعلم (الوضعي) والعمل على إعادة خلق المجتمع كمهندسين اجتماعيين من قبل رجال العلم الأوروبيين وإيمانهم بان الدولة القومية هي التي ستحل الأزمة الموجودة، أدى الى ان تتعمق الأزمة بشكل أكبر. لأن الليبرالية التي تُعتبر الأيديولوجية المحورية للإحتكار الرأسمالي، قامت بالاستفادة من كل الأفكار بطريقة توفيقية من أجل العمل على استمرارية النظام الرأسمالي، ونجحت الى حد كبير في إفشال أية محاولة للتغيير.

هذا ونتيجة عدم تمكن العلماء المهتمين بعلم الاجتماع من تطوير طرق حل سليمة، فقد أدى ذلك الى تفاقم الأزمات باضطراد ليصل الى درجة انفجار حروب عالمية. ليهدد العالم كل من الفاشية والنازية والتي كانت إفلاسا للنظريات الاجتماعية في ذلك الحين. هذه النتائج أدت الى ظهور تيارات جديدة في علم الاجتماع مثل الايكولوجيا، الفامينية، النسبية، اليسارية الجديدة، والنظام العالمي، ليبدأ معها عهد من علوم الاجتماع المتشتتة الى أقسام كثيرة. لا ريب ان تحلي راس المال المالي بالطابع المهيمن فيما بعد السبعينات لعب دوراً هاما في ذلك أيضا. كان الجانب الايجابي لذلك يتجسد في تقوض هيمنة الفكر الأوربي المركز. اما جانبه السلبي فكان متمثلاً في مخاطر تكون علم اجتماع مقسم الى فروع كثيرة. بهذا بات من الضرورة البحث عن براد يغما او نظرية جديدة من اجل معالجة القضايا الاجتماعية العالقة لان الأزمة لم تنتهي ومازالت مستمرة على قدم وساق ".

إن إنتقاد نظريات علم الاجتماع ورؤاه الخاطئة هذه، يضعنا أمام نضال شاق مرامه تكوين براديغما تعتمد على مبادئ المجتمع الأيكولوجي،

الديمقراطي ويتخذ من حرية المرأة والرجل اساساً لنهضته الفكرية. فبذلك سيكون بمقدورنا إيجاد طريقاً لحل الأزمة الفظيعة التي يعاني منها المجتمع الإنساني بأكمله. لهذا فطرح علم المرأة يشكل جوهر علم اجتماع الحرية، ويعتبر رؤية جديدة وإسلوب جديد في كيفية مناقشة القضايا الاجتماعية الموجودة. وأيضاً يعتبر نقداً لكل نظريات علم الإجتماع بعلمائه ومدارسه التي همشت قضية تحرر المرأة ولم توليها الأهمية المطلوبة. فبتهميشه للمرأة، كان علم الاجتماع الراهن قد تناسى أن المرأة تُعتبر المستعمرة الأولى. وتُشكل الخلية الاجتماعية الأولى التي تعرضت للإستبداد والعبودية في تاريخ المجتمع الإنساني. وبالتالي القيام بتسليط الضوء على الجذور التاريخية لهذه القضية وتطوير التشخيص العلمي لأسباب استمرارية هذه القضية يعتبر أمراً لا بد منه.

متى طرح علم المرأة؟

في عام 2008 قام المفكر والقائد عبد الله أوجلان في كتابه سوسيولوجيا الحرية، بطرح مصطلح علم المرأة " الجنولوجيا". حيث كانت هذه المرة الأولى التي يتم طرح هذه البُنى المعرفية لهذا العلم. فيقول المفكر أوجلان في كتابه سوسيولوجيا الحرية:

" قد يؤدي مصطلح الفامينية، الذي يُمكننا ترجمته إلى" الحركة النسوية"، إلى المزيد من العُقم، نظراً لبُعِده عن التوصيف الدقيق لقضية المرأة، ولتهيئته الأرضية لظهور تصور" النزعة الذكورية" كطرف مضاد. فكأنه يعكس معنى يدل على أنها المرأة المسحوقة التابعة للرجل المهيمن وحسب. بيد أن واقع المرأة أوسع بكثير. إذ يشمل معانٍ ذات أبعاد إقتصادية، اجتماعية، سياسية شاملة تتعدى نطاق الجنسية. فإذ ما أخرجنا

مصطلح الاستعمار من إطار البلد والأمة واختزلناه الى المجموعات البشرية، فإستطاعتنا وبكل سهولة تعريف المرأة بأنها أقدم المستعمرات. وبالفعل، ما مِن ظاهرة مجتمعية شهدت الاستعمار روحاً وجسداً بقدر المرأة. ينبغي الفهم أنه قد تم الإبقاء على المرأة كمستعمرة لا يُمكن رسم حدودها بسهولة.

إن السطور التي تتطرق إلى المرأة لديها حديثها عن الذكورة التي تركت بصماتها على علوم الاجتماع مثلما تركتها على كافة العلوم الأخرى، مشحونة بالمواقف الدعائية التي لا تُلامس الواقع بتاتاً. فالوضع الحقيقي للمرأة ربما طمس بهذه العبارات أربعين ضعفاً مما عليه حجب التمايز الطبقي والاستغلال والقمع والتعذيب في تاريخ المدينة. من هنا، قد يرمي مصطلح عِلمِ المرأة " الجنولوجيا" الى الهدف المأمول على نحو أفضل عوضاً عن اصطلاح الفامينية. فالظواهر التي سيُبرزها الجنولوجيا لا بد أنها لن تكون أقل واقعية مما عليه العديد من الأقسام العلمية المنضوية تحت فروع علم الاجتماع، كعلم اللاهوت وعلم الأُخرويات وعلم السياسة والبيداغوجيا وهلم جراً. وكون المرأة تُشكل القسم الأفسح من الطبيعة الاجتماعية جسدياً ومعنوياً هو أمر لا يقبل الجدل. لِمَ لا نجعل هذ الجزء المهم جداً من الطبيعة الاجتماعية موضوعاً في حقولِ العلم؟ وعليه، لا يُمكن إيضاح عدم لجوء السيسيولوجيا المتفرعة الى العديد من الحقول (كالبيداغوجيا ووصولاً الى علم تنشئة الأطفال وتربيتهم) الى تشكيل حقل علم المرأة، سوى بكونها عبارات الذكورة المهيمنة، لا غير.

ستبقى طبيعة المجتمع غير منيرة مادامت طبيعة المرأة تعوم في الظلام. فالتنوير الحقيقي والشامل للطبيعة الاجتماعية غير ممكن إلا بالتنوير الحقيقي والشامل لطبيعة المرأة. كما إن تسليط الضوء على وضع المرأة، بدءاً من تاريخ استعمارها كأنثى الى استعمارها اقتصادياً واجتماعياً

وسياسياً وذهنياً، سيُقدم مساهمات كُبرى في تسليط الضوء على جميع مواضيع التاريخ الأخرى، وعلى المجتمع الراهن بكافة جوانبه.

لا شك أن كشف النقاب عن وضع المرأة هو أحد أبعاد المسألة. والبُعد الأهم معني بقضية التحرر. بمعنى آخر، فحل القضية يتميز بأهمية أكبر. لطالما يُقال: إن مستوى حرية المجتمع العامة تتناسب طرداً مع مستوى حرية المرأة. المهم هو كيفية تعبئة مضمون هذا التشخيص الصحيح. ذلك أن حرية المرأة ومساواتها لا تحدد حرية المجتمع ومساواته فحسب. بل وتقتضي أيضاً ترتيب إجراءات النظرية والمنهاج والتنظيم والممارسة العملية اللازمة. والأهم من ذلك أنه يدل على استحالة وجود السياسة الديمقراطية بدون المرأة. بل وستبقى السياسة الطبقية ناقصة، وسيستحيل استتباب السلم وحماية البيئة حينذاك.

ينبغي إخراج المرأة من كونها مجرد أم مقدسة ومحور الشرف وزوجة لا إستغناء عنها ولا حياة بدونها. والبحث في حقيقة المرأة بصفتها إجمالي الذات والموضوع. وبالطبع، يتوجب أولاً تطهير هذه البحوث من مهزلة العشق. بل وينبغي أن يستعرض البُعدُ الأهم في البحوث تلك السفالات الكبرى التي يتم حجبها باسم العشق (وعلى رأسها الاغتصاب، الجريمة، الضرب، وآلاف الشتائم البذيئة ...الخ). ومقولة "كل حروب المشرق والمغرب نشبت بسبب المرأة" على حد تعبير هيرودوت، توضح هذه الحقيقة. ألا وهي أنها باتت قيمة كمستعمرة، ولأجل ذلك أصبحت موضوع الحروب المهمة. ومثلما أن تاريخ المدنية كذلك، فإن الحداثة الرأسمالية تُمثل استعمار المرأة على نحو أشد وطأة وبأبعاد أكثر مما هي عليه ألف مرة. فهي بذلك تنقش الاستعمار على هوية المرأة. إنها ام جميع أنواع الكدح، وصاحبة الجهد المجاني، والعاملة بأبخس الأجور، والأكثر بطالة، وهي مصدر الشهوة والقمع اللامحدودين للزوج، وآلة إنجاب الأطفال

للنظام، والحاضنة المُربية، وأداة الدعاية، وأداة الجنس والإباحية وهكذا دواليك. وتطول لائحة أوجه استعمارها واستغلالها. لقد طورت الرأسمالية آلية استغلال المرأة بما لا مثيل له في آلية أي إستغلال آخر. إن العودة مِراراً وتكراراً الى وضع المرأة، ولو لم نشأ ذلك، إنما يبعث على الألم. لكن، ما مِن لغةٍ أخرى للحقائق بالنسبة للمستغليّن المسحوقين.

لا ريب انه ينبغي على الحركة الفامينية ان تكون الحركة الاكثر راديكالية في مناهضة النظام على ضوء هذه الحقائق. فالحركة النسائية التي يمكننا عزو اصولها بحالتها العصرية الى الثورة الفرنسية قد وصلت يومنا بعد مرورها بعدة مراحل. حيث اندفعت في المرحلة الاولى وراء المساواة القانونية. وكادت هذه المساواة التي لا تعني الكثير تتحقق برواج شائع في يومنا. ولكن، ينبغي الادراك جيدا انها خاوية المضمون. إذ ثمة تطورات شكلية في حقوق الانسان، مثلما الامر في الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحقوق الأخرى. فالمرأة حرة ومتساوية مع الرجل ظاهرياً. بينما اهم اشكال الضلال مخفي في هذا النمط من المساواة والحرية. فالمرأة التي تعرضت ذهناً وجسداً الى الأَسر والاستغلال، وحُكمَ عليها بان بأقصى درجات العبودية والكدح اللامحدودين، ليس في عهد الحداثة الرسمية وحسب، بل وفي ظل جميع أنظمة المدنية الهرمية والدولتية السائدة على مر العصور، والتي تغلغلت الى كافة الانسجة الاجتماعية؛ ان حرية هذه المرأة ومساواتها وديمقراطيتها تقتضي الأنشطة النظرية الشاملة والصراعات الايديولوجية والنشاطات المعنية بالمنهاج والتنظيم. والاهم من ذلك انها تتطلب الممارسات الوطيدة. فمن دون كل ذلك، لن تذهب الفامينية والنشاطات النسائية في معناها أبعد من كونها فعاليات ليبرالية تسعى الى الترويح عن النظام القائم.

وفي حال تطور الجنولوجيا فسيكون من المفيد جداً اعطاءُ مثال للتوضيح كيفية حل قضاياها بمنوال سليم: ألا وهو ضرورة فهم أن الغريزة الجنسية تتصدر اشكال المعرفة الأكثر قِدماً. فهذه الغريزة هي تلبية لحاجة الحياة في الإستمرار بوجودها. فاستحالة خلود الفرد في الحياة قد حثته من حيث الحل على تطوير طاقة إعادة انتاج ذاته ضمن شخصٍ آخر. وما يسمى الغريزة الجنسية يشير الى تأمين هذه الطاقة لسيرورة الحياة من خلال الافضاء الى التوالد ضمن الظروف المناسبة. وهذا بدوره ما يُعد شكلاً من أشكال الحل ازاء الموت وخطر إنقراض النسل. فالإنشطار الاول للخلية يعني تكاثر الخلية الوحيدة، وبالتالي تخليدها. وبتعميم أوسع، فهو حدث جنوح الكون إلى الخلود ضمن الحياة الحيوية لرغبته في التنوع والتكاثر المتواصلين حيال الفراغ والعدم الذي يسعى إلى إبتلاعه.

والشخص او الفرد الذي يستمر فيه هذا الحدث الكوني هو المرأة على الأغلب. فالتكاثر يتحقق في جسد المرأة. بينما دور الرجل في هذا الحدث ثانوي الى اقصى درجة. بناءً عليه، فمن المفهوم على الصعيد العلمي ايضاً ان تقع كامل المسؤولية على كاهل المرأة في حدث الاستمرار بالنسل. علما ان المرأة لا تقتصر فقط على حمل الجنين وانجابه وتنشئته. بل تكاد تحمل مسؤولية العناية به حتى الممات بطبيعة الحال. اذن، والحال هذه، فالنتيجة الاولى التي علينا استنباطها من هذا الحدث هي ضرورة ان تكون المرأة صاحبة كلمة الفصل بشأن جميع العلاقات الجنسية. ذلك ان كل علاقة جنسية تجلب معها مشاكل كامنة يستعصي على المرأة تحملها. يتوجب الادراك ان المرأة التي تُنجب عشرة أطفال تؤول جسدياً بل روحياً الى حالاتٍ أسوء من الموت.

نظرة الرجل إلى الجنس أكثر شذوذاً وبلادة. وللجهالة وتعمية السلطة دورهما في ذلك بالدرجة الأولى. فضلاً عن أن امتلاك الكثير من الأولاد

تزامناً مع عهد الهرمية ودولة السلالة دليل على القوة التي لا غِنى عنها بالنسبة للرجل. فكِثرة الأبناء ليست من أجل استمرار النسل وحسب. بل وتُعتبر ضماناً لبقائه سلطة ودولة. وعدم خُسران الدولة التي هي بمثابة إحتكار المُلك مرتبط بضخامة السلالة. هكذا تُصير المرأة أداةً لإنجاب الكثير من الأبناء في سبيل الوجود البيولوجي والسلطوي والدولتي على السواء. وبذلك تكون أرضية الاستعمار المُروع للمرأة قد رُصفت ارتباطاً بالطبيعتين الأولى والثانية. من المهم للغاية تحليل تهاوي المرأة بالترابط مع هاتين الطبيعتين. لا داعي للإسهاب كثيراً في التنويه إلى إستحالة بقاء المرأة متينة ونشيطة وغير مُنهكة لمدة طويلة روحياً وجسدياً تحت وطأة وضع الطبيعة الثنائية تلك. فالانهياران الجسدي والروحي يتطوران باكراً بشكل متداخل، ويؤديان إلى إنتهاء المرأة بحياة أليمة وقاهرة وقصيرة، مقابل تأمين سلامة وسيرورة حياة الآخرين. من الأهمية بمكان تحليل وقراءة تاريخ المدنية والحداثة تأسيساً على هذا الواقع.

لندع فداحة القضية بالنسبة للمرأة جانباً. ذلك أن البُعد الثاني في الإشكالية هو التضخم السكاني المُفرط. فالنتائج الأكثر فجاعة والأشد وطأة لسياسة امتلاك المزيد من الأطفال تتجلى في الزيادة المفرطة لتعداد السكان، مما يؤثر على الطبيعة الاجتماعية جمعاء والمحيط الأيكولوجي بأكمله. وإحدى أهم العِبر التي يتوجب إستخلاصها بالنسبة لعلم المرأة أو علوم الاجتماع برمتها، تتجسد في حقيقة ووضع استحالة الاعتماد على أسلوب "المعرفة الغرائزية" بهدف الاستمرار في التزايد السكاني او إكثاره أو تقليصه كما في بعض الحالات النادرة. فمساندة الاستمرار بالنسل من خلال أسلوب بدائي للغاية كالغريزة الفطرية، ودعمه بالأساليب العلمية المُطورة على مر تاريخ المدنية والحداثة؛ هو الدافع الأساسي وراء التزايد السكاني المُفرط. فاستمرار النوع البشري بوجوده كطبيعة اجتماعية مُقتصراً على الأساليب الغرائزية، وبالأخص بتحفيز الغريزة الجنسية؛

يُعبر عن وضع متخلف جداً؟ ذلك أن مستوى الذكاء والثقافة يبسط طاقات المعرفة القادرة على الاستمرار بكيانات اجتماعية من نوعية أرقىَ. أي أن الافراد والمجموعات قادرون على إحياء أنفسهم لأطول مدة ممكنة من خلال مستوى ذكائهم وثقافتهم ومؤسساتهم الفلسفية والسياسية. بالتالي، لا يبقى أي معنى لسيرورة النسل بالتكاثر عبر الغريزة الجنسية. فثقافة الإنسان وذكاؤه قد تخطيا هذه الإسلوب منذ زمن بعيد. بناء عليه، فمبدأ الربح لدى المدنية والحداثة هو المسؤول أساساً عن هذه البدائية. لا ريب أن الإفراط في التزايد السكاني **إفراط في الاحتكار والسلطة**. وهذا ما يعني **الربح** الأعظم أو الفاحش. إن التكاثر المفرط لدى النوع البشري طيلة التاريخ، وبلوغه ليس بالمجتمع وحسب، بل وبيئته وطبيعته الى شفير الهاوية؛ هو بالتأكيد حصيلة **التكديس التراكمي لرأس المال والسلطة**. وبالتالي، إنه ثمرة **قانون الربح الأعظم**. بينما تؤدي جميع المؤثرات والأسباب الأخرى دوراً ثانوياً من الدرجة الثانية.

والحال هذه، ينبغي أن تكون المسؤولية الأساسية على عاتق المرأة فيما يتعلق بحل قضية المرأة التي اكتسبت أبعاداً عملاقة منذ الآن، وبحل القضية الديمغرافية التي تُعد السبيل الأولي لسد الطريق أمام الدمار الأيكولوجي. والشرط الأول في ذلك هو حرية ومساواة المرأة تماماً، وحقها في مُزاولة السياسة الديمقراطية كلياً، وحقها في ان تكون صاحبة الإرادة والكلمة الحاسمة في جميع العلاقات المعنية بالجنسين. وفيما خلا هذه الحقائق، لا يمكن تمكين خلاص وحرية ومساواة المرأة والمجتمع والبيئة بكل معانيها، كما لا يحتمل تشكيل السياسة الديمقراطية والسياسة الكونفدرالية طبعاَ.

تؤدي المرأة دوراً حياتياً من حيث أخلاقيات وجماليات الحياة على ضوء الحرية والمساواة والتحول الديمقراطي، كونها العنصر الأصلي للمجتمع

الأخلاقي والسياسي. وعلم الأخلاقيات والجمال جزء لا يتجزأ من عِلم المرأة. ولا جِدال حول أن المرأة ستُحقق انفتاحاً وتطورات عظيمة في جميع الميادين الأخلاقيات والجماليات كقوة فكرية وتطبيقية على السواء بحكم مسؤوليتها الثقيلة في الحياة. فأواصر المرأة مع الحياة أوسع بكثير قياساً بالرجل. ورُقي الذكاء العاطفي لديها متعلق بذلك. بالتالي، فعلم الجمال موضوع وجودي بالنسبة للمرأة، كونه يعني تجميل الحياة. ومسؤولية المرأة أوسع على الصعيد الأخلاقي أيصا (نظرية الأخلاق وعلم الجمال= نظرية الجمال). إن تصرف المرأة بمزيد من الواقعية وروح المسؤولية على صعيد المجتمع الأخلاقي والسياسي أمر نابع من طبيعتها، وذلك من حيث تقييم وتشخيص وإقرار الجوانب الحسنة والسيئة فيما يتعلق بتعليم الإنسان وتربيته، وبأهمية الحياة والسلم، وبسوء الحرب وهولها، وبمعايير الأحقية والعدالة. وبطبيعة الحال، أنا لا أتحدث عن المرأة الدُمية التي كظل الرجل. أتحدث عن المرأة الحرة التي تتمثل المساواة والتحول الديمقراطي.

سيكون من الأصح تطوير علم الاقتصاد أيضاً كجزء من علم المرأة. فالإقتصاد شكل نشاط اجتماعي أدت فيه المرأة دوراً أصيلاً منذ البداية. والاقتصاد ذو معانٍ مصيرية بالنسبة للمرأة، يُحكم مسؤوليتها في تنشئة الأطفال. علماً أن معنى لفظ الاقتصاد يعني في اللغة اليونانية "قانون المنزل، قواعد ارتزاق وإعاشة المنزل". واضح ان هذا أيضاً من نشاطات المرأة الأساسية. تجسدت أكبر ضربة لحقت بالحياة الاقتصادية في إخراج الاقتصاد من يد المرأة، وتسليمه الى المسؤولين الذين يتصرفون كالأغوات من قبيل المرابين والتُجار والمستثمرين وأصحاب المالِ والسلطة والدولة. إذ يتم تصيير الاقتصاد الذي في يد القوى المضادة للإقتصاد هدفاً أولياً للسلطة والعسكرتارية، متحولاً بذلك إلى عامل رئيسي في نشوب الحروب والنزاعات والصدمات والأزمات اللامحدودة على مرّ

تاريخ المدنية والحداثة. لقد بات الاقتصاد في يومنا ساحة لألاعيب من لا علاقة لهم بالإقتصاد، يعوثون فيها وينهبون ويسلبون القيمة الاجتماعية بنهم لا محدود من خلال التلاعب بقطع ورقية وبأساليب أنكى من القمار. أي أن المرأة قد أُقصيت تماماً من ممارسة مهنتها المُقدسة، التي صُيرت ساحة لألاعيب الربا والتلاعب بالأسعار في البورصات، وحُولت إلى معامل لإنتاج آلات الحروب ووسائل المواصلات التي تجعل البيئة لا تُطاق، ولصنع المنتوجات الكمالية المُربحة التي لا علاقة لها كثيراً بحاجات الإنسان الأساسية.

من الواضح أن حركة الحرية والمساواة والديمقراطية النسائية، التي تستند إلى علم المرأة الذي يحتضن الفامينية أيضاً بين ثناياه، ستؤدي دوراً رئيسياً في حل القضايا الاجتماعية. ينبغي عدم الإكتفاء بإنتقاد الحركات النسائية البارزة في الماضي القريب، بل يجب توجيه الإنتقادات اللاذعة إلى تاريخ المدنية والحداثة اللتين حولتا المرأة إلى هوية مُهمشةٍ مشلولة. وإذ ما كانت مسألة وقضية وحركة المرأة تكادُ تكونُ معدومة في العلوم الاجتماعية، فالمسؤولية الأساسية في ذلك تُعزى إلى الذهنية المهيمنة للمدنية والحداثة ولبُناها الثقافية المادية. قد تُقدم المساهماتُ إلى الليبرالية بالتناول القانوني والسياسي الضيق للمساواة. ولكن، من المستحيل آنئذٍ تمكين تحليل القضية كظاهرة، فما بالكم بحلها بهكذا مقاربات؟ اما الزعم بأن الحركات الفامينية الحالية تحولت إلى قوى منقطعة عن الليبرالية ومضادة للنظام، فسيكون خداعاً للذات. إن كانت الراديكالية إحدى قضايا الفامينية الرئيسية مثلما يُقال، فمن الضروري حينها - وقبل أي شيء آخر- أن تُدير ظهرها وتقطع أواصرها مع إدمانات وسلوكيات الليبرالية الجذرية وحياتها وأنماطها الفكرية والعاطفية؛ وأن تُحلل عدو المرأة المتمثل في المدنية والحداثة اللتين تقفان خلفها. وينبغي عليها اعتماد سُبل الحل القيم بالتأسيس على ذلك.

على العصرانية الديمقراطية أن تُدرك أن طبيعة المرأة وحركتها في سبيل الحرية هي إحدى قواها الأساسية. وبالتالي أن تعتبر تطويرها وعقد التحالف معها إحدى مهامها الرئيسية، وأن تُقيّمها بموجب ذلك ضمن نشاطات إعادة الهيكلية. "

بطرح المفكر أوجلان لعلم المرأة" الجنولوجيا" يكون بذلك قد أضاف ركيزة أُخرى لجهوده الفكرية التي صاغها على مدار أعوام طويلة. فقد بدأت هذه الجهود على الكثير من الأصعدة سواءً النظرية أو العملية منها. حيث على الصعيد المعرفي والتنظيمي قد قدّم قبل عِلم المرأة الكثير من الإطروحات والتي من خلالها وضِعت اللبنة الأولى لمشروع الحياة التشاركية الحُرة. ومن تلك الإطروحات " تجييش المرأة، تحولها إلى تنظيم واسع النطاق، نظرية قتل الرجل- قتل الذكورية كنظام فكري وبنيوي، نظرية الانقطاع أو الإنفصال- الانقطاع عن كل ما هو رجعي ومتخلف ويدعو إلى العبودية، أيديولوجية تحرر المرأة والتي بُنيت على خمسة مبادئ هامة وهي الوطنية والإرادة والفكر الحر والنضال والتنظيم والجمالية، تأسيس حزب المرأة، تأسيس نظام سقفي وتنظيمي خاص بكافة النساء وكافة مجالات الحياة، وأخيراً طرح علم المرأة" الجنولوجيا".

لقد أبدى القائد أوجلان شجاعة نادرة في أطروحاته تلك، وكان جريئاً في كل ما قدمه سواءً من إنتقاد أو من الحلول المرتقبة للخروج من الفوضى والأزمة الاجتماعية التي تحياها البشرية. فكم كانت ردود الفعل عنيفة من قبل قوى الحداثة الرأسمالية على ما طرحه اوجلان، إلا أن إيمانه بقوة الحداثة الديمقراطية وايديولوجيتها، كانت دافعاً لتحقيق الكثير من الإنجازات والمكاسب سواء من قِبل المرأة أو من قِبل الشعوب. وما تجربة المرأة اليوم في شمال وشرق سوريا وتجربة المكونات التي تحيا على هذه

الجغرافية ذات التاريخ العريق، إلا ثمرة من الجهود الفكرية للمفكر والقائد اوجلان.

لما الحاجة إلى الجنولوجيا (علم المرأة)؟

إن رغبنا بحصر الأسباب المؤدية لظهور الجنولوجيا، قد نقع في الخطأ الذي يرسمه العلم الوضعي لكل أفرع العلم في يومنا الراهن. وقد نكون بذلك نعمل على تأطير علم المرأة والذي هو في جوهره علم اجتماع نابع من حقيقة مجتمعاتنا التاريخية، ونحصره كما العلوم الاجتماعية الحالية في إطار ضيق يُبعده على الأرضية التي يعمل فيها ألا وهي المجتمع. لكن كلنا أمل ألا يُفهم تحديدنا لأسباب الحاجة للجنولوجيا على أنه فقط وفقط للأسباب التي سنقوم بذكرها فيما بعد. بل سبب تحديدنا لبعضها لا يمنعنا من القول بأن الهدف الاجتماعي هو أعظم وأكبر الأهداف الذي ظهر هذا العلم لأجله. ومجرد تحديدنا لعِدة أسباب لا يتعدى كونه على سبيل المثال لا الحصر فمن تلك الأسباب ما يلي:

1- وضع تعريف صحيح وشامل للمرأة ولقضية تحررها

ان علم المرأة يُشكل جوهر علم اجتماع الحرية ويعتبر رؤية جديدة وأسلوب جديد في كيفية مناقشة القضايا الاجتماعية الموجودة، وأيضا نقداً لكل العلماء والنظريات الاجتماعية والمدارس التي همشت قضية تحرر المرأة ولم تولي الأهمية المطلوبة لها.

فبما ان المرأة تعتبر المستعمرة الاولى وتشكل الخلية الاجتماعية الاولى التي تعرضت للاستبداد والعبودية في تاريخ المجتمع الإنساني فان القيام بتسليط الضوء على الجذور التاريخية لهذه القضية وتطوير التشخيص

العلمي لأسباب استمرارية هذه القضية يُعتبر أمراً لا بد منه. ولان النظام الذكوري حاول تعريف المرأة من خلال الرجل، فان تعريفها كان ناقصاً ومنحرفاً. لان المرأة اشمل من الرجل سواء من الناحية الجسدية او على صعيد الدور الاجتماعي. لذلك فان تعريف المرأة من قبل المجتمع الذكوري المهيمن على انها ناقصة، معطوبة، خاملة وإقصائها من الحياة يعتبر كذبة كبيرة. لان المرأة تشكل محور الحياة الاجتماعية. هذا والوحدة بين كل من اسم المرأة والحياة في الكثير من اللغات يؤكد على هذه الحقيقة. هذا يعني انه ومن اجل التعريف بالحياة والرجل بشكل صحيح يجب ان يتم تعريف المرأة أولاً وتحديد دورها المحوري في الحياة الاجتماعية.

وبما ان تعمق الأزمة الاجتماعية يعود الى الأزمة العلمية والروحية التي يعيشها النظام الذكوري المهيمن، حينها هناك حاجة لعلم جديد يقوم بتقديم البديل. بالطبع عندما يتم تسميته بعلم المرأة، فانه لا يعني ان هذا العلم يقتصر على ما هو مرتبط بالمرأة فقط، بل انه علم اجتماع، وانطلاقاً من تحليله الصحيح والعلمي لقضية تحرير المرأة سيعمل على التعريف الموضوعي لكل القضايا الاجتماعية. هذا وسيعمل من اجل وضع الأسس الصحيحة للحياة الحرة، أي بقدر ما يقوم بالكشف عن النظام العبودي الذي يلف المرأة والمجتمع، فانه سيعمل على تطوير نظام فكري واجتماعي يحقق الحرية والحياة الندية الحرة للجنسين. فالعلوم الموجودة تعيش أزمة نتيجة افتقارها للرؤية التحررية، جميع العلوم الموجودة تحلل القضايا برؤية ذكورية أي بنظرة وضعية، سطحية وبعيدة عن الحقائق، واضح جدا ان العلوم التجريبية أخفقت في تشخيص ما تعانيه المرأة والمجتمع من قضايا.

2- الحاجة لربط العلم والفلسفة والأخلاق من جديد معاً

الجدير بالذكر هو أن العلم التجريبي بالرغم من مناهضته للميتافيزيقيا والدوغمائية الا أنه تحول الى سلطة والى دين جديد لم يطلق عليه اسم بعد. بحيث وصل ثقة العلم بنفسه لدرجة الإفراط وبدأ يتصف بالعنهجية. هذا ولأن العلم منفصل عن الأخلاق والفلسفة لذلك نرى انه تحول الى تزمت فكري. فندما يقال ان هذا البحث علمي، وكأنه أمر إلهي لا يمكن النقاش فيه. في حين ان الحياة أثبتت ولآلاف المرات ان الكثير من التشخيصات العلمية لم تكن صحيحة، وتم تصحيحها مع الزمن من قبل علماء آخرين. ولكن لان العلم محتكر من قبل القوى المهيمنة، فقد تحول العلماء الى جزءً من النظام الذكوري او حتى درعاً من اجل السلطات تحتمي بهم، لذا فالعلم الحديث علم غير متحرر وغير أخلاقي.

يقول البعض "لتطور العلم ثمن. وانه يجب ان ننظر الى فوائد كل تقدم علمي ومخاطره على أنهما جانبان متساويان، ويجب ان يحكم المجتمع بينهما. " هذا يعني انه يمكن ان يكون للاكتشافات جوانب ايجابية وسلبية بنفس الوقت. فإذا كانت غاية مراكز البحث العلمي هي تحقيق الحرية والرفاهية للبشرية، وكانت منقطعة عن كل أشكال السلطة والمال حينها ستكون ذو مقدرة يمكن على تجنب النواحي السلبية. وإن أنتجت هذه المراكز عِلماً حيادياً ومفعم بروح الأخلاق والمجتمع، في ذلك الوقت يمكن تسميته بالعلم. وليكون بمقدور العلم الوصول الى تشخيص سليم بحق القضايا أيا كانت نوعها، يجب ان يكون متحرراً من النظرة العرقية، الجنسوية والدينية والسلطوية. ومتحرراً من الناحية المادية أيضاً. فالعلم يجب ان يخدم المجتمع وألا يكون منبعاً لكسب المال الأكثر. من هنا يمكن القول ان علم المرأة يجب ان يشكل بديلاً ويكون علماً أخلاقيا يحقق البحث والتشخيص الحُر. ويعمل من خلال أبحاثه على تصحيح نفسه بنفسه، كما

ولا بد للأنشطة النظرية المنتجة للمعرفة برؤية علم المرأة ان تكون تقدمية، تسعى للتجديد والتخلص من الخطأ باستمرار. وهذا يعني القيام بتطبيق جدلية النقد والنقد الذاتي البناء بشكل دائم.

أيضا من اجل الحصول على نتائج سليمة للبحث يجب ان يتم وضع المرأة في مركز كل بحث اجتماعي تقوم به. لا نُبالغ إذا قُلنا ان السبب الرئيسي في الأزمة الاجتماعية وما يعيشه المجتمع من نظام التوحش يعود بالدرجة الاولى الى التهميش والتعتيم المطبق بحق المرأة. فالقائد اوجلان يؤكد في مرافعاته " سوسيولوجيا الحرية " على هذه الناحية بالشكل التالي: " عندما يتم محاولة حل القضايا الاجتماعية، يعتبر القيام بالتركيز على المرأة وتأسيس جهود الحرية والمساواة على حياة المرأة، أساس لطريقة البحث الصحيح، وفي نفس الوقت أساس الجهود الأخلاقية والجمالية. ان طريقة البحث المحرومة من حقيقة المرأة، ونضال المساواة والحرية، والتي لا تضع المرأة في مركزها لا يمكنها ان تصل الى الحقيقة، ولا يمكن ان تحقق الحرية والمساواة ".

من هنا، نصل الى نتيجة مفادها انه وعلى خلاف علم الاجتماع الموجود، هناك حاجة الى طريقة جديدة في البحث وتحليل القضايا الاجتماعية. وبما ان المرأة تشكل نواة المجتمع حينها يجب ان نبدأ من النواة ومن الجذور، وإلا فان تعريف المجتمع عن طريق البحث في الرجل فقط سيكون مثل تعريف الشجرة بأغصانها او أوراقها، وهذا ما سيؤدي الى السطحية والى التعريف الخاطئ. ان تعريف المرأة إلى الآن كان على أساس أنها الجزء المتمم للرجل. وهذا ما يعني عدم تخلص العلم من النظرة الدونية للأديان التي كانت تقول ان "المرأة خلقت من ضلع الرجل " فالمرأة في علم الاجتماع تعرف على انها الأم، الزوجة، شرف الرجل، الأخت، ... الخ.

حتى ان النظرة الجنسوية وصلت الى درجة تقييم المرأة على انها سلعة جنسية ليست إلا، أي انها شيء.

هذا التعريف الخاطئ هو السبب الأساسي في تشكُل الذهنية الذكورية، والتي تنتقل من جيل الى آخر كالمرض المعدي. لذلك من الضرورة القيام بتعريف جديد للمرأة، والنظر إليها على أنها وجود اجتماعي مستقل عن الرجل. أي يجب ان يتم البحث في المرأة كذات وشيء في آن معاً، ومن الأهمية ـن يتم البحث في المرأة كنواة للمجتمع وفي أسباب وكيفية تحولها مع الزمن الى لا شيء.

ليس هذا فحسب بل يجب ان يتم التوقف أيضا على كيفية التحرر من الوضع الموجود. لذلك يعتبر البحث في كل المجالات الدينية، الفلسفية والفنية التي لعبت دورا أساسيا في نشأة النظرية الذكورية أمرا حياتيا، وسيكون لعلم المرأة الدور الريادي في إزالة ستار هيمنة الرجل عن الأعين وتحقيق حركة تنويرية ونهضة فكرية في هذا القرن.

أيضا من أسباب الحاجة الى علم المرأة هو تطوير نمطنا في الأسلوب والمعرفة في سبيل تحقيق انطلاقة الحرية والديمقراطية كترجيح ضروري للنفاذ من مرحلة الفوضى البنيوية للحداثة الذكورية. ان العلم الحديث الذي تأسس دعائمه من قبل العقلانيين الغربيين لم يؤدي الا الى العبودية أكثر، اولاً للمرأة وبعدها لكل فئات المجتمع. كان لنظريات فرانسيس باكون وديكارت على الأخص تأثيراً كبيراً في تشكيل العقل الجديد وأسلوب البحث العلمي. حيث اعتمد باكون في بحثه عن الحقائق بالاعتماد على الوقائع، واتخذ من الاستقراء منهجاً اساسياً على امل ان تحقق للناس سلطاناً جديداً على بيئتهم. هذا وكان بالطبع عدو طريقة الوصول الى الحقيقة عن طريق الاستنباط. اما ديكارت فقام بصياغة الثنائيات التي نشأت من قبل السومريين من جديد. مثل ثنائية الروح والجسد، العقل

والمادة، التفكير والادراك، هذه الطريقة في البحث بدلاً من ان تصل بالإنسان الى اليقين والحقيقة، على العكس تماماً جزأت الطبيعة الاجتماعية وفتحت الطريق امام نظام استبدادي، ذلك لأن هذا المفهوم في العلم نظر بعين طبيعية الى التمييز بين المرأة والرجل، البرجوازي والبروليتاري في المجتمع وهلم جراً من تصنيفات، وأدى بالتالي الى استخدام المرأة كشيء او موضوع والرجل كذات او روح. هذا بالإضافة الى ان تقييم العلم على انه قوة من قبل باكون شكلت اللبنة الأساسية لفرضية العلم = السلطة. هذا الاتحاد السحري الذي تشكل بين العلم والسلطة استخدم بأفظع الاشكال وكأفتك سلاح من قبل النظام الذكوري والحداثة الرأسمالية. إن جعل العلم او العقل على حد قولهم أساس كل شيء ونفي الجانب المعنوي والميتافيزيقية الإيجابية لدى الانسان ك (الفضيلة، الجمال، الحرية، الصحيح) وحتى اخضاع الموسيقى لأسس عقلانية يوضح جيداً التطرف الذي سيطر على العلم الجديد.

أيضا قيام العقل المجرد وحده بحكم الفكر بشكل منقطع عن العاطفة والحس، أدى الى ان يعيش الانسان انانية كريهة بحيث لا يشعر بمصلحة غير مصلحته ولا يتألم إلا لألمه. لان الاخلاق والوجدان والشعور يكون بالنسبة لهم امراً ثانوياً او حتى لا قيمة له. ولان الذكاء التحليلي المنقطع عن الذكاء العاطفي هو الذي يكون في المقدمة. فقد تم التقليل من شأن الفلسفة والأخلاق، اللتان كانتا بمثابة صمام أمان يوقي العلم والمعرفة من الإنحراف ويحذر المجتمع بشكل دائم كي يحقق الرقابة المطلوبة. مما قللت من فُرص المناهضين للنظام الذكوري في تقديم الارشادات واتخاذ المواقف اللازمة، وهكذا تم القضاء على الاختيار الحر لأفراد المجتمع.

ونتيجة لفرض الضوابط على العلم في الوقت الراهن من قبل النظام الذكوري وقيامه بالسيطرة على العلم الوضعي واضفاءه الرسمية عليه،

تشتت العلم وتعرض لإنقسام فظيع، بحيث فقد وحدته وتكامله. هكذا تم ربط العلم بالسلطة والمال، فأصبح الهدف من الأبحاث العلمية هو إرضاء النظام المستبد بدلاً من البحث واكتشاف المعاني الاصيلة في حياة الانسان والطبيعة. وبالتالي تشكل ثلاثي متوحد بين العلم – القوة – المال.

3- تفادي السُبل الخاطئة في طُرقِ البحث

لا يتخذ علم المرأة من التقدم على خط مستقيم ومطلق ولا النسبية الانفرادية الدائرية اللانهائية أساساً في طريقة البحث لديه.

الرؤية الجنسوية الاجتماعية تتحول مع الزمن الى طقوس دينية والهية وقوانين اجتماعية، والأنكى أنها تُقيّم من قبل العلماء الوضعيين على انها حالة طبيعية ولا يمكن ان يتم تجاوزها. الجدير بالذكر ان علم المرأة يناهض هذا الأسلوب في التعاطي مع الطبيعة الاجتماعية. لأنه يُعرف الطبيعة الاجتماعية على انها مرنة وذلك ضمن التباين الزماني والمكاني، ان النظام الذكوري وكل الأنظمة المستبدة ليست حقيقة كونية مطلقة وحتمية كما يدعي أصحاب السلطة، ومن يروجون لها من دعاة الميثولوجيا والدين والميتافيزيقيا والعلموية الوضعية.

اما بالنسبة لطريقة النسبية الانفرادية الدائرية اللانهائية، فإنها أيضا عاجزة عن التعريف السليم للطبيعة الاجتماعية، ففي الوقت الذي تؤكد فيه الشمولية المطلقة على ان جميع القوانيين كونية، فإن النسبية تؤكد على انه لكل شيء قانونه الخاص به. أي يتم بذلك فصل الانفرادية عن الكونية والعكس صحيح. بهذا نصل الى نتيجة إن القواعدية الشمولية الثابتة التي تؤول الى التطور على خط مستقيم لو كان له نهاية، لكان وجب وصولنا اليها ضمن الكون حتى الآن. في حين إذا كانت النسبية التي تحتوي مصطلح " الدائرية اللانهائية"، صحيحاً، لكان واجباً ألا تُعاش او تتكون

هذه التغييرات والتطورات الكونية الموجودة. طريقة النسبية الانفرادية الدائرية الى ما لا نهاية، تؤكد على أن عملية التطور حلزونية وان كل شيء يعود الى ما كان عليه سابقاً. أي العودة دائرياً الى نقطة البداية. وهذا يعني انه لا يوجد تغير وتطور انما التاريخ يكرر نفسه. فيقوم بإنكار تأثير الزمان والمكان على عملية التغيير والتطور في الكون، الطبيعة والمجتمع. ولكن في حقيقة الامر هناك خطأ في هذا الطرح لأنه يمكن ان يكون هناك أوجه التشابه في بعض الأحيان بين الحوادث التي جرت والتي تجري في الوقت الراهن وقد ان تبدو لنا بأنها أمور متكررة، ولكن هذا لا يعني أن عملية التطور حلزونية كما يدعون، فالتطورات والتغييرات التي تحصل تكون مختلفة عن بعضها البعض نتيجة تأثير الزمان والمكان.

وبهذا فالتطورية الشمولية والدائرية تتحدان في مضمونها، ليكونا مفهومين واسلوبيين يفتقران القدرة على إيضاح التطور الكوني المتغير والمتباين. انهما اسلوبان معلولان. اما الأسلوب الأقرب الى الصواب، هو ان التغيير ممكن بالتباين والتمايز، وبقدر ما تكون آنية ولحظية، فهي تتضمن اللانهائية ايضاً. هذا يعني ان التغيير موجود في الكون والتغيير لا يعني السير في خط مستقيم وتقدمي بشكل دائم بل هناك تباين وتمايز وتراجع نحو الوراء في بعض الأحيان، لأنه في حالة وجود الفوضى والازمة يمكن ان تظهر تغييرات وتطورات ليست بالحسبان. كما يجب التأكيد هنا على أنه بعض القوانيين التي تطبق بحق الطبيعة الأولى (أي الطبيعة بشكل عام)، لا يمكن ان يتم تطبيقها على الطبيعة الثانية (المجتمع الانساني). وما يتم تطبيقه بالنسبة للمجتمع لا يمكن ان يتم تطبيقه من اجل جميع الأفراد. أي هناك اختلاف وتمايز في عملية التغيير والتطور. لذا وبقدر ما تكون عملية التغيير انية ولحظية أي لها نهاية، فإن علمية التغيير مستمرة ولا نهاية لها ايضاً. من كل هذا نصل الى نتيجة مفادها أن الفصل الكامل بين هذين الاسلوبين وتقييمهما كقطبين متضادين في طريقة البحث

غير صحيح، ولا يمكن ان يصل بنا الى الحقيقية المرجوة. بل ادماجهما مع بعضهما البعض سيكون أقرب أسلوب الى الحقيقة في طريقة البحث. أي أن يتم استخدام الاسلوبين، الشمولية والانفرادية بشكل متكامل وهذا بالطبع بشرط تجنب أسلوب الخط المستقيم في التطور.

يتخذ علم المرأة الأسلوب الجدلي الغير منفي اساساً في طريقة البحث، فالكون يتسم بالطابع الجدلي، ولكن من الأهمية التوقف على كيفية تفسير الجدلية، لان الماديين ينظرون الى الجدلية بشكل والمثاليين يقيمونها بشكل آخر. لذلك هناك وقبل كل شيء الحاجة الى تفسير سليم للجدلية، لانه لا لتفسير الجدل بوحدة الاضداد، ولا لتفسيره بالتغير الخالي من الاضداد او بالتكوين والابداع اللحظي مكانه من الصواب. ان تعريف الحياة بشكل عام وفق قانون تناقض الاضداد وجعله كأمر لا بد منه من اجل عملية التغيير امر غير صحيح. فبذلك يقوم الماديون الجدليون موضوعيا على شرعنة الحرب الدائمة التي تشن من قبل القوى المستبدة، وكأنه يجب ان يقوم شيء بالقضاء على الاخر من اجل تحقيق الوجود، التطور والتغيير. وذلك اعتمادا على مبدأ التناقض ونفي النفي الذي تم التوقف عليه لمئات السنيين كقوانّين جدلية. لذلك نرى نتيجة هذه الطريقة في التفكير تم تهميش الطبيعة الاجتماعية التي تملك خاصية حل المشاكل عن طريق الحوار والمصالحة والطرق السلمية.

اما التفسير الثاني للجدلية والذي يدافع عنه المثاليون الجدليون، فيقيم على ان عملية التطور خالية من التوترات والتناقضات ويفتقد لديناميكيته الذاتية، وبأنه مضطر للبحث الدائم عن قوة خارجية دافعة تقوم بدفعه الى الامام. هذه بالطبع طريقة تفكير ميتافيزيقية وهي بعيدة عن الحقيقة، وذلك لأنها تنكر الذكاء والطاقة الموجودة في الكون وقوة المجتمع الإنساني وارادته في عملية التغيير والتطور.

إذن إنقاذ وتطهير الديالكتيك من هذين التفسيرين المبالغ فيهما، يتميز بأهمية قصوى. وبالأصل، فالديالكتيك البناء والغير مدمر امر مشاهد في التطورات الحاصلة. وعلى سبيل المثال، فالإنسان نفسه يحمل بين أحشائه تطوراً جدلياً ربما يعادل عمر الكون المحسوب تقريباً. فهو يشتمل في بنيته على الجُسيمات ما تحت الذرية الى أرقى مستويات الذرات والُجزيئات، بقدر تضمنه جميع الأطوار البيولوجية. وهذا التطور الخارق للعادة جدلي، لكنه يعكس جدلية بنيوية ومطورة بوضوح لا يمكن انكاره. ما من شك في ان التناقضات الطبقية، التي يكثر النقاش بصددها، تحتضن تناقضات وتنافرات معينة في دواخلها (بالمقدور إضافة التناقضات القبلية والاثنية والقومية والنظامية أيضا اليها). ولكن بالمستطاع حل هذه التناقضات بما يتناسب وروح الديالكتيك، دون اللجوء الى المجازر، بشرط ألا ننسى قوة عقل المجتمع المرنة بدرجة عُظمى. إن علم المرأة يقترب بشكل نقدي من طريقة البحث الميتافيزيقي ولكن لا ينكر دور الميتافيزيقيا في حياة الانسان والمجتمع مثلما فعل الماديون التاريخيون. فهم قاموا بتهميش القيم الميتافيزيقية بما فيها الإنجازات الثقافية، التي تضم في داخلها كلاً من الفن، الجماليات، السياسية، التقنيات وغيرها، والتي لا يمكن ان يستغني الانسان عنها في حياته.

هذا والجدير بالذكر إن جميع القوى المستبدة بما فيها النظام الذكوري تعمل على ترسيخ هذه الطريقة في التفكير من اجل ان يرضى المظلومون بما فيهم النساء بالقدر الذي كتب على جبينهم، لان هذه الطريقة في التفكير تؤدي بالإنسان الى الحتمية والحكم المطلق. لتتحول القوى المستبدة والنظام الذكوري الى قوة إلهية تتحكم بكل شيء دون ان يكون للقوى المضطهدة أي حق.

4- خلق التوازن بين الذكاء العاطفي والذكاء التحليلي

في الواقع هناك عقلان يؤثران في سيرورة حياة الانسان. العقل الذي يفكر والعقل الذي يشعر. هاتان الطريقتان المختلفتان اختلافا جوهرياً للمعرفة، تتفاعلان لبناء حياتنا العقلية. كما وهناك علاقة طردية بين سيطرة العواطف وسيطرة المنطق على العقل. فهذان العقلان يقومان معاً في تناغم دقيق دائماً بتظافر نظاميهما المختلفين جداً في المعرفة بقيادة حياتنا، وهناك بين العقلين، في كثير من اللحظات تنسيق دقيق ورائع. لان المشاعر ضرورية من اجل التفكير. والتفكير مهم من اجل المشاعر. حيث نشوء العقل المفكر من العقل الانفعالي يكشف عن العلاقة بين الفكر والمشاعر، فقد كان العقل الانفعالي موجوداً في المخ قبل وجود العقل المنطقي بزمن طويل. إلا إن تطور الذكاء التحليلي أدى الى تهميش الذكاء العاطفي والذي أثر بشكل كبير على طريقة التفكير لدى الانسان.

ففي مرافعة سوسيولوجيا الحرية يقوم المفكر والقائد اوجلان بتعريف هذه الفترة بشكل جيد حيث يقول:" مع تطور الظروف الفيزيولوجية للكلام، بلغت الجماعات البشرية مستوى لغة " الرموز"، بعد بقائها حقبة زمنية طويلة تستعمل لغة الإشارة. واساس اللغة الرمزية هو الانتقال بوساطة الكلمات الى التفكير المجرد. فالتفاهم عبر الاصطلاحات بدلاً من الإشارات إنما هو ثورة عظيمة في تاريخ البشرية. وما تبقى عمله هو تسمية الأشياء والحوادث والوقائع التي تلبي حاجياته الأكثر ضرورة. والتسمية مرحلة عظيمة يتماشى معها تطور الاصطلاحات اللازمة لعقد الروابط فيما بين مختلف الأسماء، سواء الأسماء التي تمثل خصائص الشيء، او الوظائف فيما بينها، فهي تفضي الى ظهور الأفعال وحروف العطف الرابطة بينها. ومع الانتقال الى تركيب الجملة، تكون الثورة اللغوية قد حققت انتصارها.

هذا ما معناه بروز شكل فكري جديد. فترسيخ الكلمات والمفردات في الذهن يُمكن من التفكير بشأن الأشياء والأحداث. إننا على عتبة الذكاء التصوري أو النظري. إنه تطور رائع ومدهش. فنحن وجهاً لوجه امام نوع من الذكاء الذي قد يؤدي الى الأوضاع المُضرة والخطيرة والفتاكة، بقدر ما هو نافع وناجع. وميزته الأساسية هي ان نشاطه منفصل عن العواطف. ويمكننا تعريفه بالذكاء التصوري، او المفضي الى بروز الفكر التحليلي. ومن اهم مزايا الذكاء التحليلي، او العقل، قدرته على التفكير بشأن كل الكون عند اللزوم، دون إرهاق نفسه كثيراُ، ومقدرته على صياغة التخيلات والأوهام اللامحدودة. أي أن الذكاء التحليلي يُكون عالماً مذهلاً من التصورات والخيالات. لقد تطورت كفاءة صياغة المخططات، ونصب الأفخاخ والمصائد، وحبك المؤامرات والدسائس. بل ويمكن تقليد الطبيعة ومحاكاتها لتطوير كل المخترعات. وتغدو مقدرة بلوغ الهدف بالمصائد المدروسة وبشتى أنواع المكائد والحيل السبب الرئيسي وراء بروز واستفحال المشاكل داخل وخارج المجتمع.

أن اكتساب الذكاء لبعديه التحليلي والعاطفي بشكل متداخل فضيلة عُظمى خاصة بالإنسان كي يُحقق كينونته. لكن المهم هنا: لأي غرض يُستخدم؟ لقد انتبه المجتمع لهذه القرينة منذ المراحل البدائية، فكان رده العمل اساساً بالأخلاق كمبدأ أولي للتنظيم. حيث لا يمكن ضبط الذكاء التحليلي او التحكم به من دون الاخلاق الاجتماعية. وعلى سبيل المثال، فالشخص المشحون بمشاعر السخط والغضب يمكنه إبادة كل كائن حي او جماعة بشرية تقف في وجهه، إن هو لم يستسغها او يرغبها، بمجرد إعمال ذكائه التحليلي وتشغيله قليلاً.

ومقابل هذا الخطر، ارتقى المجتمع بالأخلاق، وجعلها مبدأ اجتماعياً اضطرارياً لابد منه، كي يقدر على صده. وجعلت كل جماعة من تعليم

وتنشئة أعضائها وفق منظور أخلاقي حساس ودقيق وظيفة أولية. وثنائية "الفضيلة والرزيلة" الأساسية في الاخلاق انما هي معنية بوظيفة الذكاء التحليلي. فإن عَمِلَ على نحو فاضل، يُكرم بأخلاق الفضيلة. وإن سعى ليكون مُضراً، يُحكم عليه بكونه يمثل أخلاق الرزيلة. أو بالأحرى يُنظر الى الرزيلة على انها الشيء الواجب عدم تواجده في كل أخلاق، فتُقمع وتُعاقب بإستمرار، الى ان تحتل أخلاق الفضيلة مكانة الصدارة.

إلا ان هذه الحالة من الحل الذي ارتآه المجتمع تظل قاصرة عن التحول الى قوة رادعة كلياً. وسوف يظل الماكرون والمتهافتون على حبك الدسائس ونصب الأفخاخ قابعين في التشققات الاجتماعية على الدوام. وبطبيعة الحال، فثقافة الصيد الغائرة في القِدم لها النصيب الأوفر في حصول ذلك. فعندما تتحد ثقافة الصيد المختلفة بالطبع في المجتمع البشري مع تقدم الذكاء التحليلي، ولدى تركيب جمعية جديدة منهما، يؤدي هذا الى اكتسابها المبكر للكفاءة او المقدرة على تشكيل طبقة وهرمية بحالها في البنية الاجتماعية وفي ايكولوجيا البيئة. وهكذا تبدأ الكارثة. ويتكاتف الفصل بين الجنة وجهنم مع قوة الذكاء التحليلي في تأسيس الهرمية الاجتماعية، ليحرزا التقدم قُدماً وعلى التوازي. وبينما تمهد الهرمية السبيل لمخيلة الحياة في جنان عدن بتأسيس زمرة من " الرجال الذكور الأقوياء" متعالية على المجتمع، فهي تفتح الطريق بالمقابل لجهنم الذي لن تُدرك أسبابه ولا مخارجه، والذي يزداد استعاراً مع الزمن داخل المجتمع السفلي.

كانت المرأة أول ضحية طالتها يدُ الرجل القوي. فمتانة أواصرها مع الحياة جعل الذكاء العاطفي لدى المرأة أرقى. إنها المسؤولة الأولية عن تكوين الحياة الاجتماعية عبر كدحها المجبول بالآلام والمخاضات كونها أم الأطفال. وبقدر ما تُدرك معنى الحياة، فهي تعلم جيداً كيف تُحقق

سيرورتها. كما أنها جامعة الشمل. وخاصيتها هذه محصلة ذكائها العاطفي من جهة، وضرورة تعلمتها من الطبيعة من جهة أخرى. ويتبين من المعطيات الأنثروبولوجية أن الزخم الاجتماعي قد تحقق وتراكم حول المرأة – الأم طيلة حقبة طويلة من التاريخ، وأن المرأة – الام لعبت دوراً أقرب ما يكون الى نواة الغنى والقيم النبيلة. ويمكن الجزم بكونها أم فائض القيمة أيضا.

من هنا، فجشع الرجل الذكر القوي- الذي حُدد دوره الأساسي بالصيد- بهذا الزخم المتراكم، وطمعه فيه- أمر مفهوم. ولدى بسط حاكميته. والانتقال الى مرحلة تصبح فيها المرأة موضوعاً جنسياً، يغدو الرجل السيد الحاكم، ويمتلك حق التصرف بالمدخرات الثقافية المادية والمعنوية واستملاكها. إنه امر مثير للمطامع حقاً. فقوة التنظيم التي اكتسبها مع الصيد منحته فرصة بسط نفوذه، وتأسيس أول هرمية اجتماعية. ومن خلال مثل هذه الظواهر والمستجدات الوقائعية، يمكننا استشفاف كيفية استخدام الذكاء التحليلي لأغراض مشينة لأول مرة وبشكل ممنهج داخل البنية الاجتماعية. الانتقال من عبادة المرأة المقدسة الى عبادة الأب، يؤمن تسليح الذكاء التصوري بدرع القداسة. يمكن طرح مزاعم تجذر النظام الأبوي البطرياركي على هذه الشاكلة كفرضية قوية الإحتمال".

بهذا نرى ان الانحراف الذي حصل في الذكاء التحليلي أدى الى ترسيخ النظام الاستبدادي الذكوري. وأدى الى ابتعاد الإنسان عن التقمص الوجداني. وأيضا منعه من التعرف على الحقيقة عن طريق قوة الحدس. هذا واستبعدت الحياة الداخلية للإنسان برمتها من مجال الدراسات العلمية. حيث كان يرى السلوكيون أن السلوك الظاهري هو الحد الذي نستطيع رؤيته بموضوعية من الخارج، وهو ما يمكن ان نقوم بدارسته بدقة علمية. حيث كانت الحكمة التقليدية بين علماء المعرفة تؤكد على ان الذكاء

يستلزم معالجة الوقائع على نحو صارم ويتسم بالبرودة. أي نموذج لا يكون للعواطف محل في الذكاء، بل يقتصر دورها وكما يعتقدون على تعكير صفوة الحياة العقلانية. وفي هذا الصدد، لا يصبح هذا النموذج المعرفي إلا رؤية تضعف العقل وتفقره، وتفشل في تفسير التعبير عن القلق العاطفي وقوة المشاعر والتي تعطي مساراً صحيحاً للعقلانية.

ولكن الحياة أثبتت ان الذكاء متضمن في انفعالات الانسان وعواطفه، وأن الانفعالات يمكن أن تكتسب الذكاء. أيضاً أثبتت أن هناك حاجة الى تغيير هذه الرؤية العلمية الغير متوازنة، والتي كانت تقوم بالعمل وفق العقلية الخالية من العواطف والانفعالات، وحان الوقت للإعتراف بدور المشاعر في التفكير والوصول إلى الحقيقة والمعرفة العلمية الأكثر قُرباً من الصحة. حيث في عالمنا الراهن لا يوجد أهم من الذكاء الاجتماعي وهو أحد أوجه الذكاء العاطفي، هو القدرة على فهم الآخرين، والتصرف الحكيم في العلاقات الإنسانية والذي يشكل أحد جوانب معامل الذكاء الشخصي. والذي ينبع أساساً من الحدس والفطرة السليمة. لذلك يرى علم المرأة أنه ومن أجل الوصول الى اليقين يجب أن يتم خلق التوازن بين كلا الذكائيّن وبهذا سيكون قد تم الحصول على طريقة أكثر موضوعية للبحث في المشاكل التي تُعاني منها المرأة والمجتمع.

5- نقد النيوتونية والتقدم بفيزياء الكوانتوم وجعلها اسلوباً للبحث

إن الفيزياء الكلاسيكية او فيزياء نيوتن، تقوم بالبحث في المواد الصلبة، الكثيفة والتي يمكن قياسها وذات السرعة البطيئة. كان لهذه الفيزياء تأثير كبير على طريقة التفكير في العالم حتى منتصف القرن العشرين. لأنها أثرت وبشكل كبير على طريقة البحث في الطبيعة والإنسان. إن الرؤية الميكانيكية، المطلقية التي كانت سائدة في فلسفة الفيزياء الكلاسيكية، أدت

الى ترسيخ الذهنية التحكمية بشكل أكثر. فإعتمادهم على المادية البحتة أدى الى أن يضعوا الإنسان مكان الله. حيث تم تناول الطبيعة على انها جماد وأنه يمكن للإنسان أن يتحكم بها كيفما يشاء. إن تطبيق هذه الرؤية على المجتمع أدى إلى نتائج وخيمة. حيث تم تهميش الجانب المعنوي لدى الإنسان. هذا بالإضافة الى ان معالجة الفيزياء الكلاسيكية للمادة بشكل فظ، مستقيم ومجزأ، أدى الى تشتت البنية الاجتماعية. ولأن هذه الرؤية كانت تخدم القوى المستبدة فإن استخدامها من الناحية الاجتماعية أدى إلى نشوء مجتمع وفرد ميكانيكي، مطيع ومنقسم في ذاته. هذا والجدير بالذكر بأن كلاً من ديكارت وفرانسيس باكون يعتبران من العلماء الذين قاموا بترسيخ فلسفة الفيزياء الكلاسيكية في الناحية الاجتماعية تحت اسم الأسلوب العلمي.

إن توقفنا ولو بإختصار على خصائص فيزياء نيوتن سنصل بالخطوط العريضة لعدة نقاط هامة. وهذه النقاط هي على الشكل التالي:

1- الحقيقة هوموجينية (نمطية ومتجانسة)، وتعمل او تسير وفق قانون مطلق.
2- الحقيقة هرمية. أي تحكمية ولها نظام من الأعلى إلى الأسفل.
3- الحقيقية ميكانيكية. حيث كل شيء يعمل على نمط الآلة.
4- المستقبل واضح، القوانيين الموجودة ستكون الحاكمة في المستقبل أيضاً.
5- التغيير في الحقيقية نوعية وتراكمية ولسان حال الكون هو حسابي.
6- العلم مادي، لأنه عن طريق التجربة والملاحظة يتم التعرف على الحقيقة. وكل ما يثبته العلم هو صحيح.

7- نتائج العلم كلها كونية ولا بد من تطبيقها، لأننا نحصل عليها عن طريق التجربة والحساب.

لكن، ومع مرور الزمن ونتيجة أبحاث مختلفة وتطور التكنولوجيا تم التعرف على عالم جديد وهو عالم ما تحت الذرة. حيث أدى ذلك إلى قلب قوانيين الفيزياء النيوتونية رأساً على عقب. إن الفيزياء الجديدة والتي يطلق عليها اسم فيزياء الكوانتوم، تختلف عن الفيزياء الكلاسيكية، حيث تعمل بالبحث في أجسام أصغر من الذرة، وأيضا تبحث في سرعتها في مستوى سرعة الضوء. بالطبع وصول علم الفيزياء الى هذا المستوى من التطور من قبل العالم ألبرت آينشتاين في عام 1905 وطرحه نظرية النسبية، أدى الى ان تفقد الفيزياء الكلاسيكية تأثيرها وأهميتها. لان القوانيين الجديدة كانت تؤكد أن ما يجري في الطبيعة هو عكس ما كانت تدعيه الفيزياء الكلاسيكية.

ففي الوقت الذي كانت تؤكد فيه الفيزياء الكلاسيكية على أنه يمكن أن يتم قياس كل شيء بإسلوب علمي. هذا إذا تعرفنا على ماضي وحاضر شيء ما، يمكن أن نتعرف على مستقبله أيضاً. نرى أن فيزياء كوانتوم تؤكد عكس ذلك، لأنه في مرحلة الأزمة والنشوء يمكن أن يتم الحصول على نتائج مختلفة تماماً عما كان موجوداً في الماضي والحاضر. هذا ويمكن القول إن الرؤية الفلسفية لفيزياء كوانتوم أيضاً مختلفة تماماً، حيث أن كل ما هو موجود في الكون فهو حي أيضاً، وأن كل ظاهرة طبيعية لها قانونها الخاص بها تعمل وفقه، هذا وبالطبع ضمن معناها العائد لها ولذاتيتها.

هذا والشيء المهم هو أن التطور الطبيعي والاجتماعي لا يسير وفق خط مستقيم ودون انقطاع. بل إن مرحلة الفوضى والأزمة التي تحصل في عالم ما تحت الذرات تؤكد على أن هناك إمكانية تحقيق التغيير وهناك الكثير من الخيارات والاحتمالات التي يمكن أن يتم ترجيحها بشكل حر.

هذا يثبت أن هناك مجال للترجيح الحر في عالم كل ظاهرة. لأن التنوع يؤدي الى حرية الإختيار والحرية. في حين التطور على خط مستقيم يؤدي الى إزالة التنوع ويعني فقدان حرية الإختيار. وإذا ما قمنا بتطبيق هذه القواعد على النظام الاجتماعي، سنرى أنه وعلى العكس مما يدعي البعض فإن حاكمية الرجل على المرأة ليست قدراً وإن الرأسمالية أيضاً لم تكن أمراً لابد منه. ونظام الدول ليس بالأمر والقدر المحتوم على الشعوب في عيشها، وإنه يمكن أن نقوم بإنشاء وتنظيم حياة جديدة في ظل الأزمة التي نعيشها في الوقت الراهن.

يمكننا بإختصار سرد التغيير الذي حققته فيزياء كوانتوم في طريقة التفكير نسبةً للفيزياء الكلاسيكية على الشكل التالي:

1- كل شيء حي، كل شيء يولد من الطاقة.
2- مبدأ الارتباط الكوني، فكل شيء مرتبط ببعضه البعض ويؤثر على الآخر.
3- الغموض وعدم التعرف، وهو عدم التعرف على سرعة الذرة ومكانها بنفس الوقت. لان مداخلة السرعة يعني مداخلة نشوئها ومكانها.
4- الثنائية، تتحول الطاقة الى نوعيين من الطاقة والعدم، والحركة تكون نتيجة هذه الثنائية المتناقضة أي بين الوجود والعدم. أي يمكن ان تتحقق إحداهما، وهذا يؤدي الى ان يكون هناك خيارات وإحتمالات.

بهذا نرى أنه ومن أجل الوصول إلى الحقيقة هناك حاجة إلى رؤية صحيحة. وبقدر ما يكون العلم ذا رؤية متحررة تكون نتائجه وتأثيراته أيضاً تحررية. وبما إن فيزيائية كوانتوم هي الأقرب إلى الصحة

والنظرة التحررية فإن التعامل معها من قبل علم المرأة يحمل أهمية كبيرة.

من كل هذا نصل الى نتيجة أنه هناك حاجة لعلم يقوم بقلب كل ما تم ذكره راساً على عقب. وهو تطوير طريقة بحث تعتمد على الاستنباط بقدر إعتمادها على الإستقراء، علم يقضي على الثنائيات المزيفة، الروح- المادة، الموضوع- الذات، ويتخذ من الوحدة والتكامل طريقة في البحث، بحيث تكون الروح والمادة حقيقة موحدة لا يتم تجزئتها من أجل الوصول الى اليقين. أيضا هناك حاجة لعلم يوحد بين الذكاء التصوري والذكاء العاطفي، ويعطي القيمة للوجدان والعاطفة بقدر إعطائه القيمة للعقل والفكر. ويقوم بالاهتمام بالميتافيزيقيا بقدر إهتمامه بالمادة. هذا وبالطبع هناك حاجة لعلم يعظم من شأن الفلسفة والأخلاق. بحيث تكون خدمة المجتمع وقوة النقد وخلق البديل هو الهدف الأول والأخير. فيقضي بذلك على التشرذم الموجود في العلم. ويكون متحرراً من كل الضوابط التي يضعها النظام الذكوري ورسميته. لذلك فعلم المرأة يمكن أن يشكل هوية هذا العلم الحر وانطلاقة جديدة في هذا المجال.

6- بلوغ سر الحياة

من أسباب وجوب ظهور علم المرأة هو الحاجة الى البحث عن حقيقة ومعنى الحياة. لقد قام النظام الذكوري بتشويه كل ما هو مرتبط بالحياة، فنرى قيام الآلاف من الرجال يومياً بقتل النساء والأطفال وبعدها قيامهم بالانتحار، أيضا منع النساء من المشاركة في كل ما هو مرتبط بالحياة الاجتماعية وحصرها في نطاق البيت وقطع صلات المرأة مع المجتمع وجعلها آلة تخدم شهوات ونزوات الرجل المنقطعة عن الأخلاق الاجتماعية. كلها تؤكد على ما تعيشه الحياة من أزمة في منطقتنا.

انقطاع الحياة عن الأخلاق، عن الحرية والمساواة والجمالية، يعني انقطاعها عن القيم المعنوية، وهذا يعني وقوف الحياة على حافة الهاوية لن يكون من المبالغة القول ان الحروب المتنوعة التي نعيشها في المنطقة يعود سببها الرئيسي الى فقدان الحياة لمعناها. لدرجة ان القيام بالاعتداء والتعذيب لامرأة او طفل، بات امرا روتينياً بحيث وصل الى درجة ان يتم مشاهدتها في وسائل الإعلام كأنه أمر عادي.

فالذكاء التحليلي وصل بالإنسان الى درجة انه لا يشعر بما يدور حوله من مآسي، لأنه يقيم كل شيء من باب المنطق والعقل فقط، والذي يعني الانقطاع عن حقيقة ومعنى الحياة. ان قيام كل من داعش والكثير من الجيوش بقطع رؤوس الناس واستخدامهم لأفظع أنواع التعذيب ضد النساء يؤكد على ما يعيشه عصرنا من انهيار في الضمير والوجدان وبالطبع لا يمكن ان نقوم بفصل هذه الممارسات عن الذهنية الذكورية، لان الجيوش والدول وكل المؤسسات التي تقوم بمثل هذه الممارسات كلها نشأت بعقل الرجل.

يقال إننا نعيش في عصر وصل فيه العلم والاتصالات أوج قوتهما. الا ان سيادة العجز حتى الآن عن تعريف الحياة وأواصرها الاجتماعية رغم هذا التطور الخارق للعلم، إنما يثير الذهول الى حد بعيد. إذا، ينبغي حينها السؤال: هو علم ماذا، ومن اجل من؟ وكلما صيغ جواب هذين السؤالين، فستفهم دوافع عدم رد العلمويين الاجتماعيين على السؤال الأساسي، أي على سؤال "ما هي الحياة؟ وما علاقتها مع المجتمع؟ قد تبدو هذه الأسئلة بسيطة للغاية ولكنها قيمة في معناها بقدر قيمة حياة الكائن المسمى بالإنسان. فما هي قيمة الإنسان ما لم يفهم ذلك! فالبشرية التي لا تعرف معناها وحقيقتها مستحيلة الوجود. وان وجدت، فستكون الأكثر انحطاطاً وبربرية على الإطلاق.

في الحقيقة، البشرية تعيش مرحلة انحطاط وبربرية في وقتنا الراهن، لان الحياة التي تتأسس على الظلم، والعبودية وعلى القتل لا يمكن ان تأتي للبشرية الا بالعقم والزوال. ومن اجل ان نعيد للحياة معناها الحقيقي يجب ان يكون اهتمام علم المرأة في البداية بماهية الحياة. فالمرأة يمكن ان تكون من أكثر الكائنات قرباً من حقيقة الحياة. وذلك نتيجة طبيعتها وما يجري في جسدها. فإنها تملك قابلية خلق الحياة من جديد، وهذه قوة إلهية. فيمكنها تعريف الحياة من خلال ما تشعر به من مشاعر وأحاسيس نحو الطبيعة، والإنسان والحياة. فالمرأة تعرف قيمة الحياة لذلك قوة الحس والشعور لديها قوية جداً. انها روحية وقوة الذكاء العاطفي لديها أقوى من الرجل. فذكائها بناء وميال نحو الحياة. لذلك نرى ان في أعمالها لا تكون هدامة وبالرغم من تهميش وتصغير الرجل لما تقوم به المرأة، فان الأعمال التي تقوم بها المرأة بشكل عام تخدم إضفاء المعنى على الحياة.

لذلك فعلم المرأة سيعمل قبل كل شيء على تعريف الحياة الاجتماعية من جديد. وسيقوم بنقد وتحليل الحياة المزيفة التي تقدم للمرأة والرجل، وستبدأ من تعريف العلاقة بين الحياة والمرأة، بين الحياة والمجتمعية، بين الحياة والحرية، بين الحياة والمعنى، بين الحياة الاجتماعية والطبيعية، ومن بعدِها بين المرأة والرجل. هذا وسيقوم علم المرأة بوضع أسس الحياة الجديدة التي تليق بالإنسان.

بما ان المرأة قامت بوضع أسس المجتمعية، حينها ستتوقف الجنولوجيا في البداية على علاقة المرأة بالمجتمع وعلاقة الفرد بالمجتمع. في الوقت الذي يعمل رجال العلم الوضعيين على قطع العلاقة بين الفرد والمجتمع وبين المرأة والمجتمع، فان علم المرأة سيقوم بالكشف عن العلاقة الخلاقة والمبدعة والتوازن الرائع بين كل من الفرد والمجتمع. ايضاً سيكون من الضرورة وقوف علم المرأة على التنوع الموجود في الطبيعة، وستظهر

بان النمطية أيا كان نوعها تؤدي الى القضاء على التنوع. هذا وسيؤكد علمياً ان التعصب الجنسي او ذهنية المجتمع الجنسوي الذي يقوم الرجل بفرضها على المجتمع، والذي ينكر فيها المرأة لا تؤدي الى الحرية والجمال والمجتمعية الصحيحة، إنما تقتل الحياة المبنية على التنوع بكل أشكاله. لذلك بقدر ما تعتمد الحياة الاجتماعية على التنوع في الهويات والأجناس والألوان والأصوات ستكون بذلك القدر قوة الحياة في هذه المجتمعات راسخة أكثر. ومن هذا المنطلق نؤكد بأن الحياة الندية والحرة هي الوحيدة التي ستعطي المعنى الحقيقي للحياة.

من هنا فإن علم المرأة سيقوم بالتوقف على دور المرأة البناء والمبدع في الحياة الاجتماعية ليكون بالمقدور من خلاله التعرف على حقيقة التعريف الخاطئ للحياة من قبل عقل الرجل. ان الفردية التي وصلت الى ذروتها في شخص الرجل أصبحت حالة سرطانية، بحيث وصل الى لدرجة من جشع لا يمكن لجمه. انقطاع النظام الذكوري المعتمد على الفردية والأنانية عن المجتمعية، تحول الى وحش كاسر، لا يقضي على قيم المجتمع الأخلاقي والسياسي فحسب، بل يقضي على الرجولة نفسها. فالفردية تحولت في شخص الرجل الى حرب، الى دمار الى فيروس، الى شذوذ جنسي، الى غصب، الى الاعتداء والى الجشع المادي.

لذلك فالمهمة الأولية لعلم المرأة هي تحليل هذا الوضع المزري وتطوير رؤية بديلة وحياة بديلة تعتمد على المجتمعية. بالطبع عندما نتوقف على المجتمعية لا يعني إهمال الشخصانية، فلا يمكن التفكير بمجتمع دون أفراد ولكن من الأهمية معرفة أن ما يكسب الإنسان خاصيته هو المجتمع. وإذا ما تم تأسيس حياة حرة للأفراد من قبل المجتمعات فان الأفراد الموجودين فيه سيتحولون الى شخصيات مبدعة.

يمكن التعرف على هذه العلاقة من خلال هذا المثال الرائع الذي يطرحه القائد عبد الله اوجلان في مرافعاته بصدد الشرق الأوسط "بإمكاننا تشبيه مقارنة الفرد مع المجتمع بمقارنة عنصري الهيدروجين واليورانيوم. فذرة الهيدروجين بنية بسيطة عندما تكون بمفردها. ورغم وجود انتشار الطاقة والجسيمات في بعض أنواعها، إلا أن ذلك محدود للغاية. اما في اليورانيوم، فالمكونات الضخمة التعداد والمؤلفة من الذرات عينها ضمن تركيبة جديدة، تضخ الطاقة وتنشر الجسيمات. علماً ان القنبلة الذرية تنبع من خاصية اليورانيوم تلك. لقد اندمج عدداً جماً من الأفراد ضمن تركيبة جديدة في المجتمع ايضاً. لكن الطاقة والجسيمات التي ينشرونها (المجموعات القديمة والجديدة) تكون بمعايير لا تقبل المقارنة نسبة الى الإنسان الفردي (الذرة التي لا وظيفة لها سوى إحياء ذاتها). عندما يخسر الفرد مجتمعيته، فحتى لو عاش فيزيائياً، فهو اما خائن وسافل، او أذعر شرود. وهو فانٍ وميت في كلا المعنيين ".

كلّ امرأة، وفي خضم بحثها عن الحرية، في مرحلة ما من حياتها، تصل إلى فهم هذه المقولة المشهورة لسبينوزا "الفهم هو الحرية". لأنه إذا فهم الإنسان العالم الذي يحيا فيه، وكذلك المجتمع والعائلة ونسيج العلاقات ووجوده المرتبط بكل هذه العناصر، أي إذا استوعبها واستطاع أن يعطيها المعنى الحقيقي حينها فقط يستطيع أن يكون حراً. أما بالنسبة للإنسان الذي لا يستطيع استيعاب هذا، فإنّ جميع هذه العلاقات والروابط ستتحوّل إلى حبالٍ وقيودٍ تكبّله وبالتالي تخلق له المعوقات والعبودية. إن أي إنسانٍ كان، ومهما تكن سوية الحياة التي يختارها لنفسه، لا يستطيع إثبات وجوده بدون مجتمعه. وفي عصرنا هذا الذي تفوّقت فيه الفردية بات المجتمع يتعرّض للإبادة فيه، فكلّ لحظةٍ نعيشها تصرخ بهذه الحقيقة.

ضمن حقيقة الإنسان والمجتمع اللذان لا يعطيان أهمية لمعنىً الحياة، ويختنقان ضمن اللا معنى، فإنّ بلوغ سر الحياة هو وضعٌ بالغ الصعوبة. وبوضعنا هذه الحقيقة نصب أعيننا فإننا نقف بمواجهة سؤال ألا وهو: على الرغم من حقيقة الحياة المؤلمة هذا، فمن ذا الذي ينبغي له أن يصل بنفسه إلى سر ومعنى الحياة؟ وكيف وبأية وسيلة سوف يتخطى الإنسان وفي الطليعة المرأة كل هذا القتل للحياة؟ وكيف ستتم مواجهة هجوم الحداثة الرأسمالية، التي تهاجم التاريخ والمعنويات والكون وكل مشاعرنا وأفكارنا وقيمنا النسوية والإنسانية؟

لذا ومن الضرورة القصوى بناء العلم والمعرفة اللذان سيزيلان كل هذه التخريبات المُطبقة على حقائقنا التي تمثل معنى حياتنا وذواتنا. فإذ لم يوجد المعنى، فلن يكون ثمة حياة أيضاً. ونحن على ثقةٍ بأنّ النظر إلى هذه الحقائق عن قرب وبعين المرأة، سيضفي قوة أكثر على قوتنا المعنوية، لكن بدون قطع العلاقات الموجودة ما بين المعنى –الحياة – المجتمع- المرأة...الخ.

7- التطوير الحقيقي للحياة التشاركيّة الحرّة

طبيعة الحياة والمجتمع والكون متناقضة وديالكتيكية فيما بينها، وإحدى وجوه هذا التناقض الطبيعي هي المرأة والوجه الاخر لهذا التناقض هو الرجل. فإن كان هذان الوجهان بعلاقة ذو معنى فيما بينهما حينها ستستمر الطبيعة الاجتماعية بنمط منظم، ولكن ان حدث العكس أي انكار الطرف للآخر فما سيحل عندها هو ان تعاني الطبيعة الاجتماعية دائما من الازمات والكوارث والمعوقات، ذلك لان طبيعة المرأة والرجل مكملتان لبعضهما ووجودهما سوية يجعلهما في بحث لمعرفة الحالة الطبيعية لهاتين الطبيعتين. ولهذا يمكننا اعتبار الجنولوجيا اسم وعنوان لبناء

وتطوير نظرية الحياة التشاركية الحرة، وايضاً ألف باء السوسيولوجيا الحرة للحياة الحقيقية. فالحياة التشاركية تكونت عبر التاريخ بطريقة اجتماعية وطبيعية، ولكن البُنى السلطوية اضعفت كلا الجنسين لتتأثر العلاقة فيما بينهما وتصبح هشة ومبنية على أسس قابلة للإنهيار والدمار بأية لحظة، ولهذا نقول ان العلاقة الحالية بين الجنسين تبرز ذاتها كعلاقة سلطوية. مع العلم بأن الشرط الأساسي في العشق هو تكافؤ الإرادة الحرة لدى الجنسين. لذا فالمعضلة هنا تتخطى حدود الفردين بل تحولت الى معضلة اجتماعية وجذرية. إذا قمنا بتقييم صغير في مجال العلاقة المجتمعية بالعموم فسيظهر ان المعضلة مشتركة ولهذا تصل لنفس النتائج مهما اختلفت الأماكن.

8- الدفاع الجوهري المتين

ربما ينبغي لنا وقبل كل شيء فهم الجنولوجيا كعلم دفاع جوهري ومشروع. في عموم الطبيعة، فإن آليات الدفاع الجوهري وحكمتها هي تلقائية. وعلى الرغم من أنّ هذه الآليات عند النساء كانت قوية جداً في بداية التاريخ، ولكن بإضعاف استيعابهن ومعارفهن فيما يتعلق بطبيعتهن، فقد حمل دفاعهن الجوهري جراحاتٍ عميقة للغاية. لم تتحقق هذه المرحلة بكل سهولة، فالنساء لم تتقبلن الخضوع والعبودية بشكل تلقائي وبمرونة. بل تمّ تطويرها إلى جانب الحروب العنيفة المتضمنة لأدوات الظلم والاستبداد الفكري والخداع. فلم تعد المرأة مُلكاً لنفسها ولا لمجتمعها ولا للطبيعة ولا للكون، وتم إبعادها عن هذه المكونات خطوة بخطوة. وأصبح محكوم عليها بالاغتراب عن نفسها بأشكال مختلفة ومتنوعة. الاغتراب الذاتي هو بحد ذاته دمارٌ للدفاع الجوهري، وإبادةٌ له. وكلما زاد هذا الاغتراب وتعمق أكثر، كلما ابتعدت المرأة عن ذاتها بشكل أكبر. بإنشاء المرأة العبدة والمستسلمة، ظهر الرجل الأفندي والحاكم والدولة والسلطة،

وفي مقابل أسلحة هؤلاء، أصبح دفاع المرأة ضعيفاً جداً وغير منظم. الجانب الأكثر تطوراً هنا، هو الاستعمار الممارس بحق المرأة والذي كان يطبق بطريقة ذهنية فظيعة. فالنساء تماماً كما الشعوب، بسبب الاستغلال الذهني، أي الاستسلام الأيديولوجي أو الانهزام تركنَ من دون حماية.

تملك النساء إمكانيات وقدرات استيعاب وردود فعل قوية جداً، وهذا ما يمثل الحماية الجوهرية لديها، والتي اكتسبتها من الطبيعة. ولأنّ الاستغلال الذهني قد دمرَ كلّ هذه الإمكانات، فقد حدث ضعف كبير لدى المرأة من ناحية الفكر والثقة بالنفس. وهذه إحدى النقاط التي كُسِرَ فيها الدفاع الجوهري للمرأة. وعلى هذا الأساس فإنّ الجنولوجيا تبحث نقاط انكسار الدفاع الجوهري من بداية التاريخ والى يومنا. فمتى وأين وبأية أساليب تم كسر وتحطيم ذهنية الدفاع الجوهري والمشروع للمرأة؟ كيف جرح هذا الانكسار مجتمع المرأة والرجل؟ هل سيستمر هذا الإنكسار كمصير حتمي؟ كيف ستستعيد المرأة مجدّداً تلك الذهنية وروح الدفاع الجوهري المشروع؟ ستتابع الجنولوجيا في هذا الجانب وتتعقب الكثير من الأسئلة الأخرى وتمنحها الأجوبة الموضوعية. ذلك لأن الدفاع الجوهري هو مسألة مصيرية وعاجلة للنساء. فإذ ما زلنا في القرن الحادي والعشرين نُعرض للبيع والشراء كعبيد في الأسواق، ويمارس علينا الاستعباد الجنسي، ونتعرّض للقتل على يد الرجل أو العائلة، ونُقتل في الحروب ونكون أكثر الشرائح الاجتماعية التي تدفع فاتورة باهظة لحروب ليس لنا فيها لا ناقة ولا جمل، وتتمّ تربيتنا بالتهجير والتجويع، ويتم تشغيلنا بأجور رخيصة، ويتم اعتبار التعذيب الذي نتعرّض له بشكل لا يمتّ للإنسانية بصلة مشروعاً، فسبب كل ذلك هو كسر وتحطيم آليات الدفاع الجوهري لدينا ولدى مجتمعاتنا. ولكي يتم إنشاء هذه الآليات مجدّداً وبشكل صحيح، يتوجب وجود ذهنية قوية لتناول المرأة. فتطوير علم المرأة الذي يأخذ

تاريخ المرأة والمجتمع وحقيقة المجتمع ضمن مساره مُهم للغاية. كما وأن بناء حكمة ومعرفة المرأة وعلم المرأة هو دفاع جوهري بحد ذاته.

لذا، وقبل كل شيء، ينبغي أن تبني المرأة مفاهيمها ونظرياتها ومؤسساتها الجوهرية. وينبغي أن نضع حماية هذه الأمور تحت سقف الحماية الجوهرية. ليس فقط من الناحية الفيزيائية بل من الناحية العلمية والفكرية أيضاً يُعتبر الدفاع الجوهري ضرورة لا بد منها. ومقولة القائد عبد الله أوجلان "لا يمكن التفكير بكارثةٍ أكبر من ضياع وفقدان الدفاع الجوهري الاجتماعي. فإذا ما أبعدت الدولة القومية المجتمع عن العلم والفن والحقيقة وتركتها بلا دفاع جوهري، فإن هذه إحدى أهم العوامل الأساسية للقضية والأزمة الاجتماعية." تشير إلى هذا الموضوع بشكل لافت للنظر. بمقدور المرأة من خلال علمها " علم المرأة" من أن تمدّ يدها إلى كلّ ميدان ترى فيه المجتمع والنساء متروكيْن بلا دفاع جوهري. وبالتالي بإستطاعتها التنبؤ المُسبق بالكوارث التي تفرض على المجتمع والتي تخرج المجتمع عن مجتمعيته. عندها فقط ستكون إمكانية تطوير الحلول البديلة عن الحلول التي تطرحها الحداثة الرأسمالية ممكناً. يجب علينا أن نركز على أنه بقدر ما يكون العلم أخلاقياً ومرتبطاً بالحقيقة، فإن دمقرطة العلم وبقائه ديمقراطياً هو نشاط دفاع جوهري مشروع. لذا تعمل الجنولوجيا على تنظيم هذه النشاطات ضمن المجتمع، عن طريق أكاديميات المرأة.

الفصل الثاني

أين المرأة من نسق الحقيقة؟

يشرح الاسلوب أشكال المقاربة السليمة والعادة المألوفة، فهو كالطريق المختصر الذي يؤدي إلى النتيجة المأمولة المعنية بالأهداف. فلدى الجزم بالسبيل المُباشر والمختصر والصحيح للوصول إلى الهدف، يكون قد أُتبع الأسلوب المناسب في الوقت ذاته. من الضروري القول إن الانفتاح أكثر على إمكانية التفسير الأقرب إلى خيار الحياة الحرة، يتميز بمعانٍ أسمى. ولئن كانت الغاية هي بلوغ معنى الحياة، فعلى الأسلوب أن يكون وسيلة تُفضي إلى ذلك. بمعنى آخر فإننا عِوضاً عن البحث عن أسلوب بديل، نقوم بالبحث من خلاله عن النفاذ من القضايا المستشرية الناجمة عن الحياة التي أُبعدت عن قيم الحرية وأُثقلت بالزيف والضلال. كما أنه من الواجب الإشارة إلى أننا حينما نقوم بمناهضة الأسلوب، فهذا لا يعني إنكاره كلياً، ولا البحث عن أسلوب بديل. وهذا بالذات ما ركزت عليه مدارس الحكمة في الشرق الأوسط منذ غابر العصور.

لا ريب أن المجتمع الإنساني طالما قام بالبحث عن الحقيقة، وبرزت العديد من الخيارات كجواب لهذا الأبحاث، بدءً من الميثولوجيا إلى الأديان، ومن الفلسفة إلى العلوم الراهنة. ولكن وكما يقول المناضل عبد الله اوجلان:" مثلما لم يتم تصور العيش في حياة خارج إطار هذه الخيارات الناتجة عن تلك الأبحاث، فلا يمكن إنكار وجود واقع هزيل يُشير إلى أن هذا الكم المتراكم من القضايا العالقة نابع من تلك الخيارات. أي أنه ثمة ثنائية تقول: العيش معها وبدونها مُحال. لكن الحداثة التي

نحياها هي ذات فوارق فريدة من نوعها. حيث بلغت حدود اللا استمرار في العديد من الميادين. وإذا ما سعينا لتعدادها بشكل خاطف فسنلاحظ؛ التضخم السكاني المفرط، نفاذ الموارد، دمار البيئة، التصدعات الاجتماعية المتعاظمة بلا حدود، الروابط الأخلاقية المُنحلة، انقطاع الحياة عن الزمان والمكان، الحياة المُفتقدة لجاذبيتها وشاعريتها تحت وطأة التوترات الكُبرى، أكداس الأسلحة النووية القادرة على إحالة الدنيا إلى صحراء قاحلة، وضروب الحروب الجديدة اللامتناهية والمستفحلة في البيئة الاجتماعية برمتها. كل ذلك يُذكر بيوم القيامة الحقيقي. إن الوصول إلى هذه المرحلة بحد ذاته مؤشر واضح على إفلاس أنساق حقيقتنا القائمة. أنا لا أعرض لوحة سوداوية. ولكننا لا نستطيع البقاء صامتين، ولا نتمالك أنفسنا عن الصراخ بأعلى أصواتنا إزاء الحياة المنتهية داخلنا وأمامنا. علينا ألا نفقد الأمل، وألا نخنق أنفسنا بذرف الدموع. ولكن علينا البحث عن الحل".

إن اول عمل جاد يقع فعله علينا من حيث الأسلوب هو، التخلي عن نسق الحقيقة. أي التصرف السلبي على جميع الأصعدة إزاء نسق الحقيقة التابع للنظام القائم. بمعنى أخر أن نتخذ الموقف المُعارض عبر تحليل نسق الحقيقة لذلك النظام. فلا يمكننا الوصول لنواة وجوهر النظام القائم، أو البدء بحلِه وتفكيكه؛ إلا بمقاومات باسلة قيمة، وببذل الجهود لإنشاء المجموعات المعارضة وعلى رأسها المجموعات الأيديولوجية التي تناهض أيديولوجية النظام القائم. ذلك لأن جميع التكوينات الاجتماعية هي ثمرة الذهنية، وليس كما يُقال ويشرع له بأن الأيدي والأرجل هي من تُنشئ المجتمع، فلو كان الأمر كذلك، لكان العالم الذي أمامنا مختلفاً كل الإختلاف.

أولا: الميثولوجيا (علم الأساطير)

عندما نسعى لإيلاء المعاني المكانة التي تستحقها. فإن أول أسلوب يواجهنا في أغوار التاريخ السحيقة، هو التناول الميثولوجي لكل الحوادث والمفاهيم. تُعتبر الميثولوجيا أيضاً أسلوباً وطريقة للكشف عن الحقيقة، كونها تستند إلى رؤية كونية. وبالرغم من اننا نعتبر في راهننا نظرتها الى الطبيعة على أنها حيوية وعامرة بالأرواح تقييماً طفولياً، إلا أنه ليس بالأسلوب الخاطئ بالقدر الذي بولغ فيه، فيما إذا وضعنا نصب أعيننا المستوى الذي أنجزه ووصله العلم في يومنا هذا. فالأساليب التي تعتبر الطبيعة ميتة جامدة وخالية من الدينامية، هي التي تفتقر للمعاني أكثر مما عليه الميثولوجيا بذاتها.

من ميزات المقاربة المثيولوجية من حيث روابطهما مع الحياة، هي أنها أيكولوجية بكل تأكيد، ومنفتحة على الحرية، وليست قدرية، وبعيدة عن الحتمية. فرؤية الحياة هذه، والتي تنسجم مع الطبيعة، قد خصت المجموعات البشرية بالحماس والعنفوان والتعددية إلى حين عصر الأديان الكبرى. مثلّت الملاحم والأساطير والميثولوجيات المُترعة بالمقدسات، ذهنية الحياة الأساسية في العهد النيوليتي على وجه الخصوص. لذا لا غنى لنا عن الميثولوجيا كأسلوب رئيسي ومهم، لفهم المجموعات البشرية التي عاشت أطول فترات حياتها على شكل أقاصيص وأقاويل. ولربما قد تم البرهان كفاية على أن الأساليب العلمية الراهنة هي بالأغلب عبارة عن ميثولوجيات، حتى ولو أظهرت وكأنها مضادة تماماً للأسلوب الميثولوجي. وهُنا فإنّ الأسلوبَ العلمي المدَّعي بالعمل وفق القوالب الدينية الدوغمائية وبالدساتير القطعية التي تُعد استمراراً للأولى، مُرغم على ردِ الاعتبار مجدداً للمعاني الميثولوجية وللإسلوب الميثولوجي، بعدَ أنْ حطَّ من شأنهما إلى أقصى حد، فالميثولوجيات التي هي من أقارب اليوتوبيات،

تُعتبر شكلاً للمعنى والذهن الذي لا غِنى للجنس البشري عنه. إن ترك ذهن الإنسان بلا يوتوبيا وبلا ميثولوجيا (بلا ملاحم وبلا أساطير) هو كترك الجسد بلا ماء. لذا من المُحال أن يتم إختزال ذهن الإنسان الذي هو بجوهره يعتبر مجموع أذهان جميع الكائنات الحية، إلى حدود الذهنية التحليلية التي تلجأ فقط الى لغة الرياضيات، ذلك لأنه سلوك يخالف طبيعة الحياة. إذاً من واجبنا العمل على ترك المجال مفتوحاً لأساليب جديدة بشأن المعاني كي لا نخنق أنفسنا سلفاً بالقوالب. على هذا لا يمكن التقليل من شأن الأسلوب الميثولوجي في فهم الكون. فمساهمته لنا على فهم الكون هي بقدر الأسلوب العلمي على أقل تقدير. ولتأكيد أكثر، يجب على العقل البشري أن يولي الإسلوب الميثولوجي الاهتمام الذي يستحقه، ذلك لأن الميثولوجيا شكل من أشكال النطق بالحقيقة.

أظهرت الكثير من اللُقىَ الأثرية والوثائق التاريخية الهوية الألوهية للمرأة ومكانتها القيمة ضمن الطبيعة الاجتماعية. وهذا ما نلاحظه على الدوام في الكثير من ميثولوجيات الشعوب. فدين الآلهة الذي تحول إلى تقديس مجتمعي، تمحور حول المرأة، وهذا ما أعتبر سمو كبير للذهنية وتقديساً لإنتاجية المرأة. ذلك لأن المرأة مثلت القوة البناءة والمبدعة في المجتمع، كما وأنها كانت العمود الفقري لثورة الزراعة. لذا نرى بأن جميع الآلهة التي إستمد المجتمع القوة من ذكائها تُصور على شكل إمرأة. في بداية العصور السومرية والمصرية والهندية، فإن الألوهية يتم تسميتها بسابقة لغوية إنثوية، أما الجانب الرجولي منها فسيظهر لاحقاً. في الفترة الزمنية المُمتدة بين أعوام 6000 – 4000 ق.م، أي الفترة التي بات فيها المجتمع الإنساني يخرج من حالة الرشيم، كانت المرأة الأم تُدير أمور المجتمع والحياة البشرية. لذا قُدست المرأة وتحولت إلى الهوية الإجتماعية الأولى. ومن الآلهة التي برزت في تلك الحُقبة" نين هورساغ، كولا أو باو، ستار أو ستيرك ...الخ".

يجمع الكثير من المؤرخين على أن كل عناصر الثقافة المادية والمعنوية اللازمة للعبور الى الحضارة، قد تكونت في هذه الفترة الزمنية، أي ما بين 6000 – 4000 ق.م. فوسائل الثقافة المادية، وفي طليعتها مجالات الملبس والمأكل والمسكن، قد تحولت إلى صناعة، لها مستواها الإنتاجي. هذا وقد جُمِعت مُراكمات الفوائض الاجتماعية، بُغية استخدامها في أوقات الشحّ ومختلف أنواعِ الكوارث. كما وتم العبور إلى التقنية انطلاقاً من إكتشاف المعدن، لتظهر العجلات فيما بعد، وليتم الإستفادة منها في توفير الطاقة الجسدية بمعنى آخر ليُستفاد من تحولات الطاقة. كما ورُسِخت أرضية التجارة. وتم التمكن من الانتقال من ثقافة الهدايا والعطايا إلى تبادل المنتوجات حسب الاحتياجات المتبادلة. من الجهة الأخرى فقد إكتسب المجتمع العديد من عناصر الثقافة المعنوية، وأُنجِزت تطورات كُبرى في ظهور أُولى الحالات الأصلية للدين والفن والعلم والتقنية. طغى على نمط الحياة التي ظهرت في المجتمع الإنساني سيادة المرأة وعلو شأنها. لذا كانت هذه الحياة لا تتعارض مع البيئة أيضاً. فالماءات التي أوجدتها المرأة (الاكتشافات والاختراعات والقواعد الاجتماعية)، كانت المحور الذي بُنيت عليه الحياة الاجتماعية للجنس البشري.

أما المرحلة ما بين أعوام 4000-2000 ق.م كانت مرحلة بينية، حيث كانت قوة الرجل وقوة المرأة في توازن. مع العلم بأن الآلهة الإناث قد حافظت على هويتها ومكانتها. فبالنظر في السرد الميثولوجي لهذه المرحلة، نُشاهد بأن الآلهة الأم تُشارك معها الآلهة الذكور في إدارة المجتمع، سواءً كانوا بصفة الأب، الزوج، الإبن أو العشيق. لتظهر ثنائيات مثل (أفروديت- أدونيس، عشتار- دوموزي، استارتا- بعل، هيبات- هيباتا، كيبال- آتيس، إيسيس- أوسيريس)، هذه الثنائيات عُرفت كأفضل الأمثلة عن الأزواج، لكن بقيت حقيقة أساسية ثابتة وهي أن التعبير الحقيقي عن المجتمع كان المرأة الأم. فلم تهتز مكانة المرأة في

المجتمع، بإشراكها الرجل معها في الإدارة، وبقيت هي الهوية الأولى لعصر ثورة الزراعة، وهذا ما نلاحظه بشكل بارز في الميثولوجيا السومرية. لكن إضافة لهذه الحقيقة، فإنه أيضاً في الميثولوجيا السومرية يتم تغيير واقع بأن المرأة هي منبع كل الحقائق. لذا نرى الإلهة إنانا التي كان المجتمع السومري يعتبرها حامية لمدينة أوروك، وآلهة العشق والحرب وأول من حملت الفأس والمشرفة على الزواج ورمز للبركة والخصوبة والجمال، تحارب ضد الإله أنكي المُخادع الذي سرق ماءاتها 104، والتي مثلت أدوات التطور الحضاري وتكنولوجيا العصر النيوليتي التي أوجدتها جهود المرأة. سرقة أنكي لماءات إنانا كان يُعبر عن سرقة ثقافة المجتمع لصالح الحضارة الطبقية الممهورة بالطابع الذكوري. فالتوازن الموجود في المجتمع السومري ينتهي مع مرور الوقت ليتحول ضد المرأة. مع العِلم بأنه إلى أعوام 2000 ق.م كان الصراع بين الآلهة والإله في حالة متكافئة. فأحياناً أنكي يسرق ماءات المرأة ليأخذها الى مدينته أريدو، وأحياناً أُخرى تقوم إنانا بإعادة ما سرقه أنكي، كما تعمل على شفائه من أمراضه التي أُصيب بها نتيجة سرقته لثمار بستان الإلهة إنانا، حيث أن كل نوع من الثمار تصيب أنكي بمرض لا يمكن شفائه منها إلا بيد الالهة إنانا. وهذا إن دل على شيء، إنما يدل على أن المرأة كانت الشافية لكل الأمراض سواءً الاجتماعية أو الجسدية منها.

من المُحال أن نعبر من فوق المكانة الإلهية للمرأة في بدايات التاريخ الإنساني، "والذي أُحيا في ثقافات الشعوب والأثنيات وعلى جغرافيات مختلفة كرمز لهوية المرأة القوية والمبدعة لمعظم القيم الاجتماعية، والآخذة لمكانة خالدة في الذاكرة الاجتماعية"، من دون أن نعمل على تقييمها بكل موضوعية. فالإلهات أمثال، نين هورساغ، إنانا، عشتار، تيامات، كولا، كيبالا، إيسيس، هاتور، دمتر، أفروديت، أستارت، أناهيتا، أفراكات، يامانج، أويو، ماوليسا، أولوكون، العزة، أرينا، هيبات، باندس،

ساراسفاتي، اللات، كالي، تارا، كوان. كل واحدة منهن مثلت بفكرها وجسدها حقيقة قوة وجمال المرأة. ورمزت للنظام الكوني، وقوى الطبيعة، النمو والإنتاج، الولادة والموت ومن ثم الولادة من جديد.

الملفت للإنتباه، إنه وبالرغم من استصغار الأسلوب الميثولوجي وبطبيعة الحال استصغار دور المرأة سواء في ذاك الزمن او في يومنا، إلا أن الإنسانية لازالت تستخدم هذا النمط وبكثرة في كافة جوانب حياتها، ومن دون أن تنتبه له. والأكثر فظاعة من كل هذا، هو قيام الجانب العلمي على تأسيس بنيته برفضه الظاهري لهذا الإسلوب كما من بعده رفضه للأسلوب الثيولوجي، بينما باطنياً فهو يعمل على استمرار هذا النمط لكن بإصدار جديد يخدم مصالحه.

ثانياً: الأديان

يُعتبر الإنتقال من المفهوم الميثولوجي صوب المفهوم الديني الدوغمائي مرحلة عُظمى مرتبطة عن كثب بالتحول الحاصل داخل المجتمع اعتماداً على الهرمية والتمايز الطبقي، وانعكاسه على الميدان الذهني أيضاً. كما إن علاقة التسلط والإستغلال تشير الى الحاجة الى القوالب الجامدة والمحصنة عن المسائلة. أي إن القدسية والحصانة وغيرها من القيم المُسلم بها، كلها أمور تتعلق بإخفاء الاستغلال، وبصون المصالح الطبقية، وبشرعنة الهرمية والسلطة. فبقدر ما يسود الحكمُ الصارمُ في مفهوم ما، فإن الاستبداد والطغيان والاستغلال يكونون مخفيين فيه بالمِثل.

تأتي المقاربة الدينية في المرتبة الثانية بعد المقاربة المثيولوجية من حيث كونها الأكثر تأثيراً لعصور طويلة في التاريخ الانساني. يمكن الإبتداء به من التاريخ المدون. ما يتوجب استيعابه هو أسباب كل هذه الحاجة للقوالب

الدينية. جلي تماماً أن هذا الموقفَ أسلوب بِحَدِّ ذاته. ويمكن التلمُس فيما بعد وبكل سهولة أن الزعيم أو المستبد الجبار الذي يُصدر الأوامر بحق المجتمع، ويقوم باستغلاله. والتقنع المفرط لخداع إدراك الإنسان ومخاتلة فهمه انما استحوذ عليه من استغلاله لقوة الاله وتوصيف نفسه بأنه ظل الاله على الأرض. (بدأت بالكاهن او الراهب السومري وإستمرت ما بعده). وبالأصل، فتسمية الطغاة المستبدين لأنفسهم في بدايات ظهورهم بـ الإله- المَلِك (كلكامش وسرجون وحمورابي وما بعدهم من أمثلة) يُعبر عن هذا الخصوص كفاية. لنصادف عقب ذلك وكواقع تاريخي سائد قوننة أقوالهم، وإبرازها على أنها الحقيقة المطلقة. فكلما تجذر القمع والاستغلال، كلما استحال الإسلوب الديني الدوغمائي مساراً رئيسياً منقوشاً في ذهن الإنسان. أو بالأحرى، تم إنشاؤه كواقع اجتماعي. بهذا الإسلوب أُمنَ خنوع الإنسانية لنير عبودية طويلة الآمد، ولتتخبط تحت وطأة حُكم المستبدين الطغاة المتقمصين قناع الرب وقوة الدين. وليحولوا الحياة إلى قحطٍ وشح.

إن أهم جانب في الأسلوب الديني بصفته طريقة للتعود الذهني، يتأتى من تجذيره لمفهوم القدرية (بعكس الأسلوب الميثولوجي)، ومن شرعنته للخضوع العبودي البارز لدى الحشود البشرية حصيلة التقاليد الصارمة على مرّ آلاف السنين. فقد غدا الاستغلال الكارثي ونشوب الحروب المُهولة أمراً ممكناً بفضل هذا الإسلوب. إن هذا الإسلوب سهل الأمور كثيراً على الممسكين بدفة الحكم، حيث تأسس ديالكتيك الراعي – القطيع. وأُبرزت العبودية على أنها مرحلة ضرورية لا بد منها في سياق تطور المجتمعات. بل وتعدى الأمر ذلك، ليصل درجة يكادُ يجمد فيها الواقع الطبيعي اعتماداً على مفهوم المجتمع الثابت الذي لا يتغير، وهذا ما سنراه لاحقاً في الإسلوب العلمي أيضا والمرتكز على هندسة المجتمعات، هندسة الأجناس ولتترسخ نظرة ضرورة حكم الرجل للمرأة، هندسة الأعراق

والتي تعمل على التأكيد بأن فلان عرق أو فلان أثنية أعلى وأسمى من العرق أو الأثنية الأُخرى. لن يكون مُبالغ به، إن قُلنا تم حُكم الإنسانية والتحكم بها من خلال هذا الإسلوب أو المفهوم طيلة العصور الأولى والوسطى. أما هم ما نتج عن ذلك ضمن الميدان الاجتماعي فتمثل بالنظر الى وجود البنى الخاملة عينها، والى حكم الراعي للرعية من الخارج على أنه أمر جد طبيعي. هذا الإسلوب أوجد شخصانية متفوقة ومتعالية على كل شيء، حيث يكاد العالم المادي يغدو مُبهماً، بل أُعتبر وكأنه غير موجود. في حين أصبحت الدنيا محطة حياة انتقالية عابرة. إن طريقة التفكير هذه، المتصفة بتضادها مع الإسلوب الميثولوجي، قد تحكمت بوجهة مسار التاريخ، ولعبت بالتالي دوراً رئيسياً في كبح جِماح الحياة، والحكم عليها بالأسر والذل والهوان.

أما الجانب الايجابي في الإسلوب الديني، فيتجسد في قطعه أشواطاً ملحوظة في ظاهرة الأخلاق ضمن المجتمع. ففي هذه المرحلة، وفي ظل هذا الإسلوب، تعرضت ثنائية" الفضيلة الرذيلة" لتمايزات كُبرى، فقيدت بأحكام قطعية صارمة. الخاصية الأساسية المُلفتة للنظر في هذا الأسلوب، هي مرونة ذهن الإنسان، بالتالي، اتسامه بالمزية التي تُمكن تأهيله ورسم ملامحه. هذه الذهنية التي تُميز الإنسان عن عالم الحيوان، تُشكل الأرضية الأساسية للتطور الأخلاقي. ولكن علينا التنويه هنا، بأن التدين الفظيع للأخلاق هو أيضاً السبب وراء تفاقم قضايا المرأة والبيئة في راهننا لدرجة الوصول بالإنسانية الى حافة الهاوية. ولكن لابد لنا من التنويه بأن الأديان بإطارها العام، قد قطعت شوطاً كبيراً بالإنسانية في موضوع الأخلاق، كما أبرزت الحكمة والترابط الاجتماعي كنمط للحياة، بالطبع كل دين وفِق ما يتناسب والبيئة التي ظهر فيها. وهذا ما سنلاحظه في الأديان السماوية وما قبلها من أديان مثل البوذية، الكونفوشيوسية، الزاردشتية، المانوية. لكن والمؤسف هو أنه، في موضوع المرأة والنظرة

لقضيتها على أنها قضية مجتمعات وقضية الإنسانية بأكملها، لا نصادف الوتيرة ذاتها في الكثير من الأديان، وعلى الأخص في الأديان السماوية. فطريقة تناول الأديان السماوية لقضية المرأة، وتحديد دورها بالنصوص الدينية، تُشير إلى إستصغار وإبعاد المرأة عن حقيقتها الأساسية. لتُمنح حقيقة تناسب طبيعة المجتمع الذكوري، الذي لربما عملت تلك الأديان بإطارها العام على تليّنها بترسيخ الجانب الأخلاقي للمجتمع، لكن هيهات فالذهنية الذكورية، فرضت ذاتها على كل الأصعدة. ولذا نرى الكثير من الأديان في الوقت الذي تطالب به بمجتمع أخلاقي مبني على أُسس الرحمة والتكاتف الاجتماعي، تُناقض ذاتها في طرحها الذي تقوم به بخصوص موضوع المرأة. إن الإختلاف الظاهري بين الأديان لا يؤثر على مضمون مواقفها من المرأة. ففي نهاية الأمر جميعهم يتشابهون في المضمون. فنظرتهم للمرأة ومشاركتها في الحياة بكل مجالاتها متشابهة مع إختلاف نسبة التطبيق، مع العلم وعلى الأخص في الأديان السماوية كان دور النساء الحكيمات بارز في نشر والحفاظ على هذه الأديان، إلا أننا لا نتلمس على أرض الواقع التحول الإيجابي في النظرة لما تقوم به المرأة، وإيلائها الأهمية التي تستحقها. فمثلاً إستطاع الإسلام أن يخلص المرأة من وأد البنات ومن دفنها وهي حية، ولكنه أحاطها بجملة لا متناهية من القوانين والشريعة التي تضيق عليها نطاق عيشها وفكرها، أما اليهودية فهنالك الكثير من التعاليم والطقوس الدينية التي لا تعتبر المرأة كائناً حياً، وان وجد فهذا الكائن منبوذ. مثلاً، في الصلاة يشكر الرجال الله على أنه لم يخلقهم نساءً. وكذلك هي مسألة الطهارة والنجاسة في الولادة والحيض، وأيضاً مسألة الميراث وحصره بنطاق الرجل لتُستثنى منه المرأة إلا فحالة الرضوخ الكامل لكل الشروط التي كُبلت بها المرأة في عملية الموارثة. وما زواج المرأة من أبناء أعمامها، والتي تحولت إلى عادة سلبية تُفرض على المرأة ومنتشرة في عامة الشرق الأوسط، إلا شرط من شروط هذه العملية. هذه الأمثلة بحد ذاته كافية لتعريف مدى استصغار المرأة، وفي

المسيحة لا يقل الأمر عن ذلك حيث أن القسيسين المسيحين يركزون على فكرة بأنّ ما عدا السيدة مريم العذراء، فلن يكون بمقدور النساء أن يخلصن أنفسهن من نار الجهنم.

ما نرغب بالوصول له، ليس الطعن بجوهر الأديان، بل نحن خير واعيين لما أحدثته الأديان من تغييرات إيجابية في البنية الاجتماعية لتلك المجتمعات. حيث يمكننا إعتبار كل دين ثورة إجتماعية بحد ذاته. ولكن مواقف هذه الثورات من قضية المرأة لم تتعدى مستوى الترميم، الذي في الكثير من الأمثلة نراه يتناسب ومصالح العقلية الذكورية المُتحكمة بالمجتمع أساساً. وبذلك يتم ترسيخ النظام الطبقي المموه ذاته بلبسه رداء النمط الاجتماعي، ليفقد المجتمع الكومونالي لفعاليته، مع العلم بأن معظم الأديان كانت في أطروحاتها قريبة من نمط المجتمع الكومونالي.

ثالثا: الفلسفة

إكتسبت الفلسفة ومعها العلم مكانة هامة مع تطور المدنية. أي العصر الذي تشكلت فيها المدنية الأولى عبر التاريخ. كما وتحولت هذه المكانة الى شكل للتعبير عن الحقيقة. فمع تطور السرد الميتافيزيقي، الذي كبح السرود المثيولوجية والدينية للحُكام والملوك في ذاك العصر، تحولت الميتافيزيقيا الى جوهر الأنظمة المدنية المهيمنة حينها. لا يمكننا التغاضي عن أن الميتافيزيقا بحالتها المثالية الموضوعانية قد تحولت مع المدنية الى ذات جوهرية للأنظمة المتسلطة، مما أدى الى أن تأخذ المُثل مقام الإله كحقيقة.

إن غاية تركيزنا على هذا الموضوع هو لإظهار فحوى المثالية الناتجة عن الفلسفة المستندة على تشكل المدنية" سلطة الدولة"، ولتوضيح علاقة

المثالية بالإغتراب وما شكلته من خطورة على الحقيقة الاجتماعية. فالعلاقة بين المثالية والإغتراب كانت من أهم العوامل المؤدية لتعرض الحقيقة الاجتماعية للتآكل والتفسخ والصهر والتحريف. فقد قامت الدول التي تتظاهر بالمدنية مثل المدنية الرومانية والإغريقية، والتي كونها نظام مهيمن للسلطة والإستغلال، بوضع ثقلها على العروض الفنية وميادين العمار والنحت والموسيقا والتماثيل. كما وقدمتها على أنها الحقيقة بحد ذاتها. أما الفنون في مثل هذه الحالة فإنها تفقد صلاتها مع الحقيقة، وبالتالي تسقط في حالة المغالاة بالذات، وتتصاغر مبتعدة عن التعبيرِ عن الواقع الاجتماعي. لقد عملت الأنظمة المدنية على إرفاق الفلسفة والعلم والفن بالسلطة. وإستماتت على تدويل ذلك، مثلما كان الأمر عليه في العصر الميثولوجي والديني. لكن وبالمقابل فقد عاشت الفلسفة والعلم مرحلة من الكفاح الفلسفي والعلمي في مواجهة هذا التصدع الاجتماعي. ذلك لأنه بالقدرِ ما تتصدى الفلسفة والعلم تجاه زوال المعنى وضياعه، بقدرِ ما تتضاعف قوتهما في التعبيرِ عن الحقيقة. في حين أنه كلما ائتمرا بإمرة أصحاب السلطة والدولة، فإنهما يصبحان دوغمائيين، ويفقدان عُراهما مع الحقيقة، ويؤديان دورهما كوسيلة ناطقة باسم الاغتراب. أي أن العلم والفلسفة تصاعدا كتعبير عن الحقيقة في وجه التعابيرِ الميثولوجية والدينية التي فقدت أواصرها مع الحقيقة. ولكن، عندما يُبدلان دورهما فيخرجان من كونهما يتخذان المجتمع أساساً، ليقوما بخدمة مصالح احتكارات القمع والاستغلال؛ فإنهما يغدوان دوغمائيين، ويدخلان مرحلةَ فقدان أواصرِهما مع الحقيقة، تماماً مثلما الاغترابات الميثولوجية والدينية القديمة. هذا وتُعاش سياقات مشابهة في الفنون أيضاً.

بالابتعاد قليلاً عن الأُسس الفلسفية (الميتافيزيقية والمثالية) التي بنت عليها المدنية ذاتها، وبغوصنا في المنابع الفلسفية، فلابد لنا من قول كلمة حق وهي، إن منبع الفلسفة كان من الشرق الأوسط. فظهرت لأول مرة

وأزهرت على أراضي مصر وبلاد الرافدين" مزوبوتاميا" وفارس والهند والصين، ولكن أيضاً لم يعرف التاريخ نظرية فلسفية ظهرت في الشرق القديم مستقلة عن الدين، لهذا كان الاجحاف بحق المرأة هو طابع تلك الفلسفات مع النذر القليل منها التي رأت قوة الفلسفة في المرأة، ولهذا حاكمتها السلطات كما تُحاكم المرأة، بالرغم من أن من نطقَ بتلك الحقيقة كانوا رجالاً، فلم ينفذوا من العقوبة وتوجيه اصابع الاتهام لهم. ولعل أوضح مثال على ذلك هو العالم والفيلسوف ابن العربي الذي أُتهم بالزندقة ذلك لأنه كان معتدلاً في فلسفته. فمفهومه كان يعتمد على تعريف الوجود الجزئي والكلي على انهما مترابطين مع بعضهما البعض وهو من قال:" ان الرجال الذين العرفُ عينّهم هُمُ الإناثُ وهم نفسي وهم أملي". بالرغم من أن الفلسفة الشرقية طرحت ذاتها على شكل فلسفة التصوف إلا ان عمقها في البحث عن الحقيقة والحياة والكون لم يكن اقل مما طرحه الفلاسفة الغربيين. ولكن وبكل اسف فإنه كل المصادر التي وصلتنا عن فلسفة الشعوب الشرقية قليلة جدا، ليظهر الغرب على أنه منبع لكل الأنماط والتيارات الفلسفية. ولم يُكتفى بهذا بل إن التاريخ غيب دور النساء الفلاسفة وطمس معظم معالم فكرها وأهملَ عقلها وللأسف لم يصلنا إلا القليل عنها. ليكون هذا أبشع أنواع الظلم الاجتماعي المقصود، فقد جرت العادة التي أصبحت أقرب الى البدهية الواضحة بذاتها أن تقول: إن تاريخ الفلسفة، لا سيما الفلسفات القديمة هو تاريخ الفلاسفة من الرجال، وبالتالي: ليس من المألوف أن تكون هناك نساء فلاسفة، مع العلم بأن بدايات الفلسفة الأولى المسجلة في بلاد اليونان في القرن السادس ق.م، في منطقة أيونيا، وفي ملطية على وجه التحديد- أنتجها قلة من الرجال وهم: طاليس، آنكسمندر وإنكسمنس وهم أعضاء المدرسة الأيونية يعني هم الطبيعيون الأوائل. ومن ثم توالى موكب الفلاسفة من الرجال: هيراقليطس، يارمنيدس، زينون، أنكساجوراس، ديمقريطس...الخ، الى ان نصل العصر

الذهبي للفلسفة اليونانية: عصر سقراط، افلاطون، ارسطو.. الخ، ثم بعده يسير الركب حتى يصل الى الحركة التوفيقية في القرن الثالث ميلادي.

بإستعراض تاريخ الفلسفة الغربية وما يرويه المؤرخون، لوجدنا إنه استعراض لأفكار الرجال ومذاهبهم، فلا نجد عندهم إشارة الى نساء فلاسفة بإستثناء امرأة واحدة من الافلاطونية المُحدثة يذكرونها سريعاً- وعلى إستيحاء- وهي هيبوشيا فيلسوفة الإسكندرية والتي يصعب عليهم غض الطرف عنها، لشهرتها العريضة في تاريخ الفلسفة.

الواقع ان الحملة التي تشن ضد عقل المرأة والزعم بعدم قدرتها على التفلسف، والقول بأن تاريخ الفلسفة هو تاريخ الفلاسفة الرجال- هذه الحملة تتغافل الدور البارز الذي تلعبه الظروف الاجتماعية والدينية واستعباد الرجال للنساء وسيطرتهم عليهم طويلاً، وما ترتب على ذلك كله من عدم إتاحة الفرصة للنساء للتعليم، وإظهار قدراتهن العقلية.. الخ.

بإختصار هناك تغافل لدور البيئة، في قدح القدرات واظهارها حتى بالنسبة للرجال. فقول إن عقل المرأة أقل في كفاءته من عقل الرجل، وأن الأنثى ليست لديها القدرة على التفلسف، يشطر العقل البشري الى شطرين، أو يجعله نوعين منفصلين ومتمايزين، ولكم هذا شبيه تماماً بمقولة " إن العقلية الشرقية أقل من العقلية الغربية أي الأوربية". إذاً لا يجوز القول إن سبب عدم تفلسف المرأة عبر التاريخ، أو أن تاريخ الفلسفة هو تاريخ الفلاسفة الرجال فحسب، عائد لطبيعة عقل الرجل الأشد ذكاءً وعبقرية من عقل المرأة. فهذه الفكرة هي فكرة خاطئة روج لها الرجال لأنها تُرضي غرورهم، وتحقق مصلحة للرجل، مصلحة في إبقاء المرأة في وضع أدنى لكي تخدمه، وتعطيه الوقت اللازم ليمارس هو حياته ومهامه التي يراها سامية. لذا نراه يقوم بتأصيل وتنظير الوضع المتدني للمرأة، بل ويجعل منه فلسفة كاملة كما فعلها أرسطو الذي قال: جنس

الذكر أصلح للرئاسة من جنس الأنثى، ومن ثم فتسلط الرجال على النساء مسألة طبيعية جداً. هنا تكمن الخطورة حيث نرى كِبار الفلاسفة يلخصون في أفكارهم التي يسقطون تطبيقها على المجتمع مباشرة، بأن المرأة دونية في طبيعتها. هذا القمع والإغفال المتعمد، خلق معه فلسفة بعيدة كل البعد عن الطبيعة والحقيقة الاجتماعية. فليس من الطبيعي إن لجئنا مرة أخرى الى طبيعة العقل البشري وخصائصه ألا تكون هناك ولا فيلسوفة من النساء.

إن الفكرة الأروسطية وما شابهها من أفكار والتي تشبعنا بها نحن الشرق أيضاً وعرفناها على من أسس الفلسفة الأساسية، وبالرغم من كل ما عملت عليها، لتحييد المرأة ورميها خارج عملية التطور العقلي، لم تسطع أن تحجب شمس المعارف العقلية للمرأة. فقد لمعت عقول العديد من النساء في الحكمة والفلسفة، مثل النساء الفلاسفة في القرن السادس قبل الميلاد. حيث إن النساء الفيثاغورثيات المثقفات في الفكر والأدب، واللواتي كن في المدرسة الفيثاغورثية التي كان فيها قدراً من المساواة بين المرأة والرجل، ساهمن بشكل فعال في تطوير المدرسة الفيثاغورثية، وخاصة بعد وفاة فيثاغورث، وكانت ثيانو زوجة فيثاغورس وابنتيها ميبا واريجنوت أشهرهن، كما لأمثال ايزارا وفينتس الاسبرطية وبركتيونى وثيانو الثانية...الخ من فيلسوفات المدرسة الفيثاغورثية الدور البارز فيها.

لنقرأ مرة أخرى مقولات بعض من تلك الفيلسوفات، لعلنا نستشف منها الحقيقة الضائعة أو بالأحرى المخفية عن عقولنا. فمن أهم ما قالته ثيانو للمرأة: " أن تكوني فوق جواد جامح خير من أن تكوني امرأة لا تفكر". اما ايزارا فقالت: "يبدو لي ان الطبيعة البشرية تزودنا بمعايير عن القانون والعدالة في آن واحد في المنزل والدولة. فمن يبحث داخل ذاته سوف

يكتشف القانون بداخله، وسيعرف ان العدالة بداخله ايضاً، فهذا القانون هو الترتيب المُنظم للنفس".

أما أسبازيا- معلمة البيان التي سعى اليها سقراط. واعترف بأنها من وضعت الخطاب الجنائزي لبركليز والذي ألقاه في ذكرى ضحايا أثينا في حربها مع اسبارطة. فهي من الأوائل اللواتي طالبن بحقوق المرأة، فأكدت على خروجها من عزلتها واختلاطها بالرجال والتحاقها بالمدارس توازيا مع تربيتها تربية عالية، تتسم بالحرية العقلية والأخلاقية. اسبازيا التي كانت تلقي المحاضرات وكان الرجال من أمثال بركليز وسقراط يستمعون لمحاضراتها ايضاً، أُتهمت بأنها تُخالف الدين ولا تخضع لأوامر الدين، وأنها جهرت في عدم تعظيم آلهة اليونان. لذا قُدمت للمحكمة ونظر في قضيتها ألف وخمسمائة من القضاة.

وديوتيما معلمة سقراط في الحب والتي حاورت الكثير من فلاسفة عصرها، وعلى رأسهم سقراط، الذي قال لها في محاورة المأدبة: " من أجل هذا، يا وديوتيما، سعيتُ إليكِ، فأنا في حاجة إلى مُعلّم، فخبريني بالله عليكِ...". كان لديوتيما نظرياتها في الحب والخلود والجمال ومنها (نظرية طبيعة الحب – نظرية مولد الحب – ما يؤديه الحب للناس – الحب.. انواع – كيف يُعبر الناس عن الحب، مدارج الروح في طريق الخلود، غاية الحب،). تربط وديوتيما تعبير الناس عن الحب بما يلي: ولادة ما هو جميل، علة الحب والرغبة، المعرفة، السعي نحو الخلود.

أما هيباتيا الإسكندرية، الفيلسوفة والعالمة التي كانت أول من رسم الأجرام السماوية، فقد قُتلت بأيدي رجال الدين. فكانت أولى شهيدات الفلسفة والعلم. لتترك بصمتها على الكثير من الإنجازات الرياضية "الرياضيات" وعلم الفلك وغيرها من الإنجازات العلمية.

إن التاريخ الذي عرفنا بإبن سينا وابن الخلدون والامام الغزالي وابن الرشد وغيرهم، لم يُعرفنا على فاطمة الفهري أول من أقامت جامعة للعلم في التاريخ، لتصبح جامعة القرويين أول معهد ديني وأكبر كلية عربية في بلاد المغرب. كما لم يذكر التاريخ ماكرينا التي قالت:" جوهر النفس هو قدرتها على التفكير العقلي، ولا فرق في ذلك بين الرجل والمرأة" وأنكر هذا التاريخ دور النساء الرواقيات والأبيقوريات لا وبل النساء اللواتي كن فعالات في حركات التصوف الشرقية. ولم يتلفظ التاريخ وإن كان على مستوى الأسماء فقط بهذا العدد اللا متناهي من النساء الفيلسوفات الحكيمات اللواتي كان لهن دور كبير في ازدهار الفلسفة.

في الحقيقة مهما إستعرضنا من أفكار نساء فلاسفة فسيكون قليل. لذا، ما قمنا بعمله الآن هو ذكر النذر من هذا الميراث العقلي الغني للمرأة. علنا مرة أُخرى نخلق المعرفة والوعي القويين بهذا الميراث. ونهيئ الأرضية السليمة لتطور علم المرأة على الجذور الفلسفية والاجتماعية للمرأة.

رابعاً: العلم

العلم كلّ متكامل في جميع المجتمعات الكلانية والقبلية. وممثلوه يعتبرون مقدّسين. ويقبل العلم على أنه هبة الإله. ويوزع على الجميع بما يناسب طموحهم وجهدهم، وبينما تكون المواقف في هذه الوجهة كلياً ضمن الميثولوجيات، وبمقاييس رئيسية ضمن الدين والفلسفة، يلاحظ أنّ أول انقسامٍ وتجزُء قد حصل بالأغلب في العلوم الطبيعية والبنية العلمية لأوربا الغربية. فقد لعب " المنهج العلمي" دوراً مُهماً في تصيير الرأسمالية نظاماً عالمياً. وفي هذا الأسلوب الجديد، الذي يُعتبر كل من روجر، فرانسيس باكون، وديكارت رواداً له، يتم التمييز بعناية فائقة بين الذات

والموضوع. في حين لم يكن للذات والموضوع مكان بارز في الأسلوب الدوغمائي القروسطي، بل تميزَ بوظيفة خافتة كالظل. هكذا غدت ذاتية الإنسان وموضوعية العالم تشكلان حجر الزاوية بصفتهما عاملين أوليين في الحياة. على الأغلب بأننا نصل لنتيجة مشتركة في كلا الحالتين والتي تفيد، مع أن الحقيقة تشير إلى إنتقاد الواقع الاجتماعي الناشئ اعتماداً على نفس الأسلوب الذي يستند إليه هذا الواقع، لا يُنقذ النقاد من الوقوع في نتيجة مشابهة. فمن المعروف جداً أن السائر على نفس الدروب المرسومة سلفاً، لا يمكنهم سوى الوصول إلى القرى أو المدن التي تؤدي إليها تلك الدروب.

إن القيمة العظمى المفقودة مع تجزؤ التكامل إلى أدق خلاياه الأولية بسبب " الضوابط العلمية"، هي تكامل ووحدة الحياة الاجتماعية المسجلة ضمن الأبعاد الزمانية والمكانية. ما من شيء في راهننا أخطر من الحياة المحصورة، ومن مأساة الحياة المبتورة من جوهرها ومقوماتها الزمانية والمكانية. إننا وجهاً لوجه أمام أشد المصائر بؤساً. فالسرطنة المجتمعية ليست تصوراً استعارياً من صُنع الخيال، بل هي التفسير الأمثل للنظام القائم فيما يتعلق بالحياة.

لا يمكننا التصور بوجود كون بلا أساليب أو قوانين. ولكن أيضاً لا يمكن الإيمان بضرورة إتخاذ ميكانيكية ديكارت أساساً. فمعلوم ان باكون واتباعه أبدوا عناية فائقة بالموضوعية وبينما فتح ديكارت الباب على مصراعيه لإمكانية تفكير الفرد بشكل مستقل، فقد أشهر باكون وأتباعه الأبواب أمام إمكانية تصرف الفرد بالمادة الشيء كيفما يشاء.

أما في يومنا الراهن فإن أجهزة المعرفة الجديدة (الأكاديميات والجامعات) المنقطعة عن المجتمع تصاعدياً، والمحفزة جيداً على خدمة زمر رأس المال والسلطة، تجد نفسها ترتقي علناً لمرتبة المؤسسات المفضلة لدى

الدولة الجديدة (اللوياثان). بالتالي فمرحلة رسملة وسلطنة العلم باتت تعني مرحلة اغترابه عن المجتمع أيضاً. هكذا، تحوّلت مقرات ومعابد العلم حلاّل المشاكل إلى مراكز خلق المشاكل وفرض الاغتراب وبسط الهيمنة الأيديولوجية. فابتكرت أقسام العلوم بقدر ما يوجد في الطبيعة والمجتمع من مصادر. هذا الواقع لوحده كافٍ لبرهنة تداخل العلم- رأس المال- السلطة. لقد ابتعد ميدان العلم قدر المستطاع عن الخدمة باعتباره أقدس مقدسات المجتمع برمته. وغدت المراكز العلمية مهنة تدر المال، بل وباتت رأس مال بحدّ ذاته، وتلطّخت بشراكتها في أخطر جرائم السلطة. كلنا نعلم يقيناً أن جميع أنواع أسلحة الدمار الشامل وتتصدرها الأسلحة النووية، وكافة المستجدات المنذرة بالمخاطر بأبعاد قادرة على تدمير البيئة، إنما تنبع من مراكز العلم. وبدلاً من العمل اساساً بهموم الحقيقة (الضمير الجماعي للمجتمع)، تمّ ترفيعها إلى مرتبة معلّم الفكر لإنتاج أكثر أنواع رأس المال والسلطة عطاءً.

أول ما يخطر بالبال لدى التلفظ بكلمة العلم في راهننا، هو التساؤل: " كم يدرّ من المال؟". علماً أنّ ما يأمله المجتمع من العلم هو التجاوب مع همومه الأساسية. فبدافع همومه المادية والمعنوية، اعتبر المجتمع العلم بتكامله مهنة القداسة، وهكذا قبِل به. أما انحراف الأكاديميات والجامعات، فعلى علاقةٍ بهذه الظروف. والأزمة العلمية تنبثق من هذه الظروف. فتاريخ المعرفة قد طرأ عليه تحول ارتباطاً بتاريخ المدنية، فعجز عن وقاية نفسه من تلقي حصته من أزمة النظام العامة وبنفس المقاييس. وبينما سعى ليكون أداة الحل، صار هو نفسه أهمّ أداة إشكالية.

في مجال العلم أيضاً المرأة كان لها دورها ونظرتها حيث سجل التاريخ مساهمات عديدة للمرأة في المجال الطبي وكافة المجالات العلمية، وظهر ذلك في عدد من حضارات العالم القديم، ففي مصر القديمة تعد مريت بتاح

أقدم عالمة في تاريخ العلوم حيث ورد أنها كتبت وصفات دوائية باعتبارها "رئيسة الأطباء"

وفي الخيمياء سجل التاريخ عدداً من النساء في الإسكندرية في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد، حيث أدت التقاليد الغنوصية إلى الإعلاء من شأن المرأة وما تقدمه من مساهمات في مجال العلم. ومن أشهر النساء ماري اليهودية.

نستطيع أن نذكر أيضاً المعاناة التي واجهتها النساء العالمات، حيث أن في القرن السادس عشر الميلادي تم حرق الألاف من النساء او اعدامهن من قِبل محاكم التفتيش، وذلك تحت ذريعة أنهم ساحرات ومشعوذات. ولكن وفي أواخر القرن التاسع عشر فاجأت الناشطة في حقوق المرأة ماتيلدا جوسلين غيج الكل بقولها وتأكيدها على أن كل تلك المحاكمات التي عقدتها الكنيسة للنساء المتهمات بالسحر لم تكن بغرض محاربة الشر، بل كانت تهدف إلى قمع عقل النساء النابغات في ذلك العصر. وفقاً لماتيلدا جوسلين إجمالي عدد المحكوم عليهم بالإعدام شنقاً وحرقاً بسبب تهمة ممارسة السحر كان 9 ملايين شخص، كان معظمهم من النساء اللواتي لم يكنَّ عجائز شمطاوات، بل كن نساء حكيمات وقابلات، وكاهنات لا يؤمن بسلطة الكنيسة وبالتالي كن هدفاً لرجال الكنيسة.

إن تقدم العلوم الاجتماعية ضمن إطار سلطة الدولة والبعيدة عن نظرة وتجارب المرأة لم يخلق سوى العرقلة الاجتماعية، واعاقت الحياة بجميع مجالاتها وميادينها. لذا، فالقضايا الاجتماعية الناجمة عن التحكم في عصر المدنية، تفرضُ مساءلة الذاتِ وبلوغ الحل في كافة أنماط التعبير عن الحقيقة. وبقدر ما يكون مصدر قضايا الحقيقة اجتماعياً، فحلولها أيضاً مندرجة في إطار علمِ الاجتماع. أما العلم المفتقر لأواصره مع المجتمعية، فلا مفر مِن اغترابه، وبالتالي فقدانه عُراه مع الحقيقة. في حين أن

المجتمعات البارعة في كل أساليب الحقيقة، هي مجتمعات تخلصت من الاغتراب ومن كونها معضلة إشكالية، وتسودها المساواة والحرية والديمقراطية (أخلاقية وسياسية). حيث أن علم الاجتماع الذي أبدعه ابن خلدون وبعده إميل دوركايم وأب العلم الوضعي أوغست كونت لم يكن جواباً للمشاكل والكوارث التي تفتك بالمجتمع وإنما على العكس، لذا نحن بحاجة لعلم يستطيع أن يحد من هذه الكوارث ولا يدر فقط المال، إنما يدر الحياة ويجعلها في تدفق مستمر. ويعمل على انهاء الشرخ المتكون نتيجة تباعد الأيديولوجيا" الأيديولوجيا الاجتماعية" والسيسيولوجيا عن بعضهما البعض. بمعنى آخر أن تكون السيسيولوجيا متطابقة مع المجتمع وليست بالمغتربة عنه.

الفصل الثالث

الميادين التي يعمل فيها ويهتم بها علم المرأة

قدرتنا على الحياة لا تكتمل إلا من خلال فهمنا لمعنى الحياة، رغم أن الفهم المطلق للمعنى غالبا ما يكون مستحيل لكننا مرغمون على ذلك، حيث تدفق الحياة وديمومتها لا يكونان إلا من خلال المعنى، لأن المعنى هو واقع، وإدراك هذا الواقع اي إدراك معنى الحياة هو قوة لا تمثلها قوة، ومن خلال هذا الإدراك نستطيع أن نطور علم المرأة ليكون خطوة أولية نحو علم اجتماع سليم.

فإن جميع الميادين والساحات التي نطرحها كميادين الجنولوجيا مثل: (الجمال والأخلاق، البيئة، الاقتصاد، الديموغرافيا، السياسة، التدريب والتعليم، التاريخ، الصحة) .... الخ هي ميادين حياتية حيث يتم فيها كشف جميع الأساليب السلطوية التي تؤثر على مصائر المجتمعات. ومن هنا نرى ان أي ميدان أثرت فيه الذهنية السلطوية الذكورية هو ميدان منتهي، ولذلك فالجنولوجيا كعلم لطبيعة المرأة والحياة التشاركية تعمل على بناء العصرانية الديمقراطية وترسيخها في هذه الميادين.

قبل ان نستهل في الحديث عن الميادين التي يعمل فيها علم المرأة، من الأهمية الذكر بأن علم المرأة ولشدة ارتباطه بالحياة الاجتماعية فإنه يهتم بكل مجالات الحياة، وليس فقط مجال اهتمامه محدد ومؤطر. وعلى هذا الأساس تعد ميادين الجنولوجيا، ميادين للعلوم الاجتماعية والطبيعية التي تحيا في حالة فراغ ومنحصرة ضمن المفهوم الجنسي ومنحرفة عن الطبيعة الإجتماعية بأعلى المستويات، فمن خلال هذه الميادين تعمل

الجنولوجيا للوصول بهذا العلم نحو وجودنا الاجتماعي والتي سنشرحها كالتالي:

1- علم الاخلاق وعلم الجمال

قديماً وقبل أن تتطور العلوم الوضعية، كان كل من علم الأخلاق وعلم الجمال مندمجين مع بعضهما البعض، لأنه لا يمكن أن يتم البحث في الجمال دون ربطه بالناحية الأخلاقية والعكس صحيح. ولكن بعد أن تطورت العلوم الوضعية تم تجزئة طرق البحث والعلوم ليتم الفصل بين هذين العلمين أيضاً. أي تم انفصال الجمال عما هو صحيح والمقصود هنا عن المقاييس الأخلاقية. ففي حين كان يتم قديماً تقييم الجمال الطبيعي في العالم على أنه يعبر عن الإخلاص والصحة والأخلاق، فالفضيلة الموجودة في الانسان هي انعكاس الجمال والانسجام الموجود في الطبيعة - سواءً الأولى منها أو الثانية- والكون. لذا نرى فيلسوف مثل السهروردي يقول مقولته الشهيرة:" من الظلم أن يشير المرء بالجمال إلى من ليس أهلاً له". هذه المقولة التي قيلت منذ عصور تُفيد بأن الجمال لا يكون بيد كل إنسان، فليكون بمقدور المرء أن يصل إلى الجمال عليه أن يكتسب الوعي والمعرفة التي توصله الى معرفة ذاته، ومن يصل لمعرفة الذات سيكون إنساناً حراً، والحُر سواءً كان رجلاً أم امرأة هو جميل بحد ذاته. لكن في الوقت الراهن وخاصة في ظل الحداثة الرأسمالية نرى أنه هناك هجوم كبير على كل من الأخلاق والجمالية. وتتم محاولة قتل هذين الجانبين في الإنسان بتوسيع وتحقيق الصناعوية فيهما بشكل لا يمكن للإنسان من تصوره.

يقول المفكر والقائد أوجلان:" إن الأخلاق تعتبر الضمير الجماعي أو المشترك للمجتمع". لأن الأخلاق هي مجموعة من القواعد التي توضع من قبل المجتمع من أجل تحقيق حمايته، ووحدته وتلاحمه. فالأخلاق تعين

هدف الفرد في الحياة، ومن أجل الوصول إلى هذه الغاية تعتبر الأخلاق الطريق الذي يجب أن يسلكه. لذا يعتبر علم الاخلاق فرع من فروع الفلسفة وعلماً بنفس الوقت. لقد كان للمرأة دور أساسي في وضع القواعد الاجتماعية في فترة المجتمع الطبيعي. الدور الاجتماعي للمرأة وخاصة دور الأمومة كان له تأثير كبير في وضع القوانيين ضد التصرفات التي كانت تُمزق النسيج الاجتماعي للكلان (القبائل البدائية) فتم تحريم الكثير من التصرفات ليتم تحولها من الزمن الى قواعد أخلاقية يقوم كل فرد بتطبيقها بشكل طوعي.

إلا إنه وبعد تطور السلطة الذكورية تم الهجوم وفي البداية على تلك القواعد الأخلاقية التي كانت تحمي المجتمع، حيث تم قتل الانسان في سبيل الجشع المادي والذي كان يعتبر أكبر جريمة أخلاقية، هذا وتم توصيف النساء المقدسات بالعاهرات في المعابد السومرية وتم الهجوم على الطبيعة بما فيها الأشجار والحيوانات في سبيل ربح أكثر. هنا وفي تاريخ الشرق الأوسط تم خلق الجمال واللا جمال في إطار المرأة. وهذا ما نلاحظه بكل وضوح في ملحمة كلكامش.

لم يقتصر الوضع على ذلك فقط، بل ومع مرور الزمن تم تحويل جسد المرأة إلى إثم، حيث تم وضع جسدها وذهنها وعواطفها تحت مراقبة وتحكم الرجل. هذا وتحولت المرأة من قِبل الرجل الى ملك يتحكم فيه، وتحت اسم الشرف والتقاليد الاجتماعية تمكن الرجل من الاستيلاء على قدرة التحكم بكل ما هو عائد للمرأة. هذا وبقدر ما تم ضمور وضعف القواعد الأخلاقية من قبل النظام الذكوري تم تطوير الحقوق والقوانين الرسمية ليشرع بذلك ما يقوم به من جرائم وضغط. فالقوانين الحقوقية التي ظهرت مع تطور النظام الذكوري في العصر السومري - ومن بعده الأكادي والبابلي- والتي مازالت مستمرة حتى يومنا هذا، لم تقم سوى

بحماية حقوق الرجل ضد المرأة، حقوق الأغنياء ضد الفقراء وحقوق الدولة ضد المواطنين.

الوضع المزري الذي تعيشه الاخلاق يؤثر وبشكل مباشر على المقاييس الجمالية في المجتمع. إن تحول اللسان الى كلمات مبهمة، والأدب الى دوامة من العشق الفاشل، والشعر الى ثرثرة فارغة، والرسم الى بقع من الألوان، والتماثيل الى كتلة من الأحجار المصقلة، والموسيقا الى ضجة يؤكد على ما يعانيه علم الجمال من أزمة روحية ناتجة عن الوضع الذي آلت إليه الأخلاق.

الاستاطيقا (علم الجمال) باللغة اللاتينية تعني قمة الشعور أو الإحساس. ولأن الفن يعتبر نتاجاً إبداعياً عن قوة الشعور الموجود لدى الانسان، فإن علم الجمال (الاستاطيقا) يشكل فرعاً من الفلسفة ويقوم بالبحث في الشيء الجميل. قد حاولت الكثير من الحركات والتيارات الفلسفية أن تُعرف الجمال او نظرية الجمال، وعلى الدوام كانت هذه التعاريف عن الجمال تترافق مع التعاريف عن الاخلاق. ذلك لأنه عندما يتم تطوير الاخلاق، فيجب أن تُبنى اسسه بالتناغم مع الجمال. ولهذا فالجمال والأخلاق توأمان لا ينفصلان عن بعضهما البعض. هناك هجوم عارم على الثقافة وعلى الانسان عن طريق الفن ويتم العمل على القضاء على أذهان الناس عن طريق صناعوية الفن والثقافة. الفن الحديث والذي تم تطويره وبشكل مبرمج من قبل قوى الحداثة الرأسمالية يهجم على هذه الموهبة ويقضي على المكملية الموجودة في المعرفة الحسية لدى الانسان كما يعيق تشكيل وتطور القيم الجمالية المرتبطة بأخلاق الحرية في المجتمع.

بما أن المرأة كانت في المجتمع الطبيعي مؤسسة للقواعد الأخلاقية فهي كانت بنفس الوقت مؤسسة لقيم الجمال أيضاً. ولأنها كانت رمز القدسية والمجتمعية فإنها كانت رمز الجمال أيضاً. ولان السعادة، الفضيلة،

الولادة، البركة كانت تعبر عن الشيء الجيد والصحيح، وبما أن الجيد يكون بنفس الوقت جميلاً وجذاباً فإن المرأة كانت ملتحمة بالقيم الجمالية في ذلك الوقت. ولكن بعد الإنحطاط الأخلاقي وبعد الهجوم على القيم الأخلاقية التي تمثلها المرأة، تم فصل المرأة عن القيم الجمالية أيضاً. حيث تحولت المرأة مع الزمن من قبل النظام الذكوري الى رمز للرذيلة بدل الفضيلة، والشؤم بدل السعادة، والعقم بدل الولادة أو الإبداع، لتتحول من الناحية الجمالية أيضاً الى رمز القبح بدلا من الجمال.

إن استخدام المرأة في الوقت الراهن بأبشع الأشكال وأشنعها وخاصة في مجال الثقافة والفن هو في حقيقة الأمر انتقام النظام الذكوري من القيم الأخلاقية والجمالية التي كانت تمثلها المرأة. حيث يتم استخدام المرأة بأقبح الاشكال من اجل القضاء على الناحية الحسية والإبداعية لدى الانسان. فتتحول المجتمعات الى قطعان دون إرادة ودون قيم أخلاقية وجمالية تسير وراء الجشع المادي للنظام الذكوري. لذا من الضرورة أن تكون المعرفة مُحملة بالضمير. لأن المعرفة بدون ضمير ووجدان تقتل الروح. حينها فقط يمكننا من أن نوقف قتل الحداثة الرأسمالية للأدمغة النقية والشابة، وبالأساس هذا من واجبات علم الاخلاق الاجتماعية. من كل هذا نرى أنه هناك حاجة ماسة لتطوير كل من علم الأخلاق وعلم الجمال اللذين يتم إهمالهما بشكل مقصود من قبل الحداثة الرأسمالية وعلمائها، لذا يعمل علم المرأة على تحقيق التلاحم والانسجام من جديد بين الأخلاق والجمال لأن التكامل والوحدة المطلوبة يمكن أن يتحقق بهذا الشكل. ولبناء نظام اجتماعي مفعم بالأخلاق والجمال تعمل الجنولوجيا " علم المرأة" على ترسيخ الحياة التشاركية الحرة بين كل المكونات والعناصر، سواءً بين الطبيعة الأولى والطبيعة الثانية، أو بين الطبيعة الثانية بذاتها وعلى الأخص مستوى علاقة المرأة والرجل مع بعضهما البعض، وأيضاً تكوين نمط فكري يعتمد على الجمال والضمير في احياء

ميراث الشعوب وعلى الأخص منها شعوب الشرق الأوسط، الذي لم يقل الحكماء عنده أبداً، ليكون كما قالها الهنود الحمر من قبل:" تقول الروح العظيمة! إعفني من إصدار الحكم على أحد لم أتجول في حذائه لأسبوعيين".

2- الايكولوجيا "علم البيئة"

يوجد معنى لكل شيء في الحياة وفي الطبيعة التي تُجدد نفسها بحسب معادلة" الحياة-الموت-الحياة". الزهرة، والنملة التي تعمل دائماً، الشجرة التي تُعمر لآلاف السنين وتتغلغل جذورها في أعماق الأرض، الغيوم التي في السماء، اشعة الشمس التي تمنحنا الكثير، دورة إكتمال القمر، الإنسان المزارع، كلها وغيرها الآلاف من الظواهر، لجميعها معانيها المقدسة في حياتنا، وهذه المعاني وجدت تعبير إستمراريتها في ذهنية الطبيعة الحية للمجتمع. وإن غابت إحدى هذه المعاني فإن توازن حياتنا كما التوازن البيئي سيحيا خلل كبير.

علم البيئة، علم حديث الولادة. ظهر نتيجة لتحكم الحضارة الدولتية بالطبيعة. لهذا يبحث هذا العلم في التخريبات التي أحدثتها الحضارة الدولتية بالطبيعة وأيضاً علاقة المجتمع بالطبيعة. في المجتمع الطبيعي المتطور حول المرأة، كانت علاقة المجتمع وأفرادها مع الطبيعة مبنية على الإحترام، لكن هذه العلاقة إختفت مع تطور البُنى الدولتية السلطوية، ليتحول الإنسان الى غريب عن الطبيعة وبنفس الوقت عن المرأة والمجتمع. ولهذا فإن علم البيئة وبالرغم من أنه حديث الظهور نسبةً للكثير من العلوم، لكنه يعمل على تجاوز هذا الشرخ بين البيئة والانسان وحل تناقض المجتمع مع الطبيعة. ذلك

إنطلاقاً من المنطق القائل:" أنه لا يوجد نظام أخلاقي غير متوحد مع الطبيعة".

يُمكننا إعتبار الطبيعة والبيئة التي نعيشها من الضحايا الأوائل للذهنية السلطوية للنظام الذكوري الذي بدأ منذ 5000 عاماً. يمكن التعرف عن طريق الأساطير بما فيها ملحمة جلجامش السومرية وأنوما إليش البابلية على أن عملية السيطرة على الطبيعة واضطهاد المرأة تطورت بشكل متوازي ومتداخل. فمن أجل الإستحواذ أكثر على القيمة الزائدة والتراكم الرأسمالي تم استخدام كل الطرق الجشعة من قبل قوى(الحضارة)، ومع أن تطور المدينة، الصناعة وغيرها يعتبر من صفات التمدن والتحضر، إلا إنها وللأسف الشديد لم تخدم سوى حفنة من الناس الذين يقومون بإستغلال كل ما في الطبيعة من أجل رفاهيتهم. بالرغم من إن الطبيعة تقدم بسخاء ودون مقابل كل شيء للإنسان إلا إن جشع الإنسان أدى إلى تخريبات واختلال كبير في توازنها. وخاصة بعد الثورة الصناعية واستيلاء الطبقة الرأسمالية واحتكارها للصناعة فوصلت هذه الأزمة إلى القمة.

ولان المنطق الأساسي في العمل يكون الربح الأعظم فإن استخدام الطبيعة يكون بشكل هدام. فالحروب النووية، استخدام الطاقة النفطية، الهجوم الشرس على طبيعة الحيوان والنبات" الطبيعة الأولى"، والانسان" الطبيعة الثانية" وذلك بالتلاعب بهرموناتها وصبغياتها، ناطحات السحاب، التورم السرطاني للمدن كلها من نتاج النظام الرأسمالي الذي يقوده الرجال. هذا الهجوم اليومي على الطبيعة من قبل الانسان أدى الى كوارث كبيرة، فالطبيعة عن طريق الزلازل، الفيضانات والتغييرات الموسمية الغير طبيعية، والعواصف والأمراض الخطيرة تنتقم من الإنسان بطريقتها.

لا نستطيع أن نربط أسباب الأزمة البيئية المُعاشة فقط بالإنتاج الواسع للتكنولوجيا، ولا بالتضخم السكاني الهائل، ولا بقوة فوق الطبيعة تُعاقب البشر على ما يقترفونه. المعضلة الأساسية المُتسببة بهذه الأزمة هي ذهنية الإنسان التحكمية ونظرته للطبيعة. فهذه الذهنية هي أيضا من أنتجت مشكلة الطبيعة وقضية المرأة. يكتب الفيلسوف والعالم البريطاني فرانسيس باكون والذي يعتبر من الشخصيات ذو التأثير القوي في الفلسفة الطبيعية، في كتابه ولادة علم الذكر فيقول لإبنه:" إن الطبيعة هي ليست أمك، بل هي زوجتك، إرغب بالزواج بين عقل الرجل والطبيعة". في هذه المقولة تعبير واضح جداً للعقلية التحكمية لدى الإنسان ونظرته للطبيعة، كما أنه في الوقت عينه عقلية ترفض التعرف على مصطلح الحياة البيئية التشاركية والحياة التشاركية الندية بين كِلا جنسي البشر. بهذه الذهنية تتجه البشرية والبيئة إلى حافة الهاوية، فبالرغم من أن ناقوس الخطر بدأ يدق يومياً، إلا إن الحداثة الرأسمالية مازالت مستمرة في جشعها هذا وإنها مستعدة بالتضحية بكل شيء في سبيل مصالحها وشهواتها. بحيث وصلت لمرحلة تهدد فيها حياة كل الكائنات الحية على وجه المعمورة. هذه الأزمة التي تحيّاها البيئة تؤدي بنا الى أمراض سرطانية اجتماعية أيضاً. لذا تحقيق تناسق الحياة الاجتماعية مع القوى الطبيعية هو موضوع جداً هام بالنسبة لعلم البيئة. كما وإن تشكل الأخلاق ضمن إطار التناسق مع الطبيعة، سيكون ذو معاني أسمى، تفتح الطريق لتدفق الحياة الطبيعية للمجتمع مرة أخرى.

لذلك فقيام علم المرأة بتشخيص أسباب هذه الأزمة بشكل علمي ووضع خارطة طريق من أجل حل هذه الأزمة يُعتبر من القضايا الأساسية التي يهتم بها. لان حرية المرأة لا يمكن ان تتحقق في بيئة مريضة ومتعرضة للغصب والاحتلال من قبل النظام الذكوري. فمن

أجل خلق التوازن من جديد بين المجتمع والطبيعة وتحقيق المصالحة، هناك حاجة لرؤية وأسلوب حياة أيكولوجية. كما يجب ان تعمل الحركات النسوية بعلمها ونضالها وتضامنها مع الحركات الأيكولوجية من أجل إيقاف وردع هذا الخطر المحدق بكل البشرية وحتى الكون بأكمله.

3- علم الاقتصاد

يُعتبر الاقتصاد من الفعاليات الحياتية من أجل الطبيعة الاجتماعية، بالرغم من أن الاقتصاد كان منذ غابر التاريخ نتيجة للعمل جماعي. حيث أن أحد مقاييس التي تُعبر عن الفعالية الاقتصادية للمرأة الأم المكتشفة للزراعة بالأساس، هي أن الآلهة لا ترضى بأن يأكل الانسان مما هو جهد غيره، ومن ثم يتنكر له، لهذا كانت الإلهة نانشا تقوم بمقاضاة كل من يخالف هذا المبدأ الأخلاقي. إلا إن القوى الاحتكارية قامت بالسيطرة عليه وتم إستغلال جهد الانسان بأفظع الاشكال. وللحصول على ربح أكثر تم تطوير أبشع الطرق. حيث تم تحويل كل شيء إلى مادة تباع وتشترى وعلى رأسه الانسان. فاليوم ظاهرة البطالة، الفقر، استغلال جهد الانسان، وصلت في ظل النظام الرأسمالي الى ذروتها. حيث تحول كل شيء الى مادة استهلاكية، بما فيه المرأة، العامل، الأطفال...الخ.

بالرغم من أن النساء هنّ من بدأن بعصر الإنتاج والتقنية التي رعت الإنسانية لآلاف السنين، ووضعنَ الأرضية الأساسية لكثير من مجالات الحياة، مثل الزراعة، تربية المواشي، الأغذية وحياكة الألبسة، الرياضيات وغيرها الكثير والكثير من النتاج الذي تطور بأيديهن وبكل محبة قدمناها للإنسانية، إلا أن نسبة النساء الفقيرات في يومنا تعتبر هي الأعلى في العالم وفقاً للكثير من الاحصائيات. فمن أكثر فقراء العالم في يومنا الراهن هم النساء. لان حصول النساء على العمل صعب قياساً

بالرجل. وإن عملت فإنها لا تأخذ نفس أجر الرجل، وإن أخذت نفس الأجر فإنها لا تملك حق التصرف بقيمة جهدها لأنها ليست فقط تحت سيطرة رب العمل بل وسيطرة رب البيت أيضاً أي إن عبودية المرأة تكون مضاعفة. ليس هذا فحسب بل إن الجهد الذي تبذله المرأة في أعمال البيت ليس له قيمة مادية ولا معنوية. فإنها تعمل ليل نهار ولكن لا يتم إطلاق اسم العمل على ما تقوم به. فقط العمل خارج المنزل هو الذي يتم تقييمه كعمل. من الواضح جداً استغلال جهد المرأة أو الرجل من قبل الرأسماليين وأرباب العمل ليست بعملية اقتصادية، وإنما عملية مضادة للاقتصاد. لان الاقتصاد يعتبر عملية جماعية، أخلاقية وسياسية، ولان هدفه الرئيسي هو تحقيق الرفاهية وحياة حرة وكريمة للأفراد والمجتمع.

ان نقد كيفية التقرب من جهود المرأة يؤكد لنا أنه هناك حاجة للبحث في علم الاقتصاد برؤية متحررة من كل النظريات السائدة. لان هذه النظريات بدلاً من أن تخدم حرية المرأة والطبقات الفقيرة والكادحين، نرى أنها خدمت المحتكرين. والإفلاس الذي تعرضت له الاشتراكية المشيدة ليس إلا نتيجة لهذه النظريات القاصرة والعاجزة عن تحليل الوضع الاجتماعي والاقتصادي الموجود بشكل سليم وموضوعي. فعلم المرأة مخول بالبحث في هذا المجال لأن المرأة تعتبر من أكثر الفئات الاجتماعية المتعرضة للظلم والاستثمار في هذا المجال. ولأسباب أخرى حيث ميدان الاقتصاد في يومنا يعتبر الأرضية الأساسية التي تعتمد عليها الإبادة الاجتماعية، وعن طريقها يعملون على ان يستسلم المجتمع لقوى الرأسمالية وجشعها.

4- علم التاريخ

من اجل التعرف على الحقائق تعتبر كتابة التاريخ بشكل موضوعي أمراً لا مفر منه. ولأن الوعي التاريخي يؤدي بالإنسان الى التعرف على جذوره وحقيقته فإن معرفة التاريخ اعتبر شرطاً مهماً من اجل بناء

الحاضر والمستقبل بشكل سليم. لكي تتمكن القوى الاستبدادية من الاستمرار في ظلمها واستغلالها، قامت وبشكل دائم على قطع الصلة بين المظلومين وبين جذورهم. فالجنس، الطبقة، الشعب الذي لا يعرف تاريخه يكون مثل الانسان الذي فقد ذاكرته. لذلك فإن القيام بإدارته وخداعه والسيطرة عليه يكون سهلاً.

عندما ندرس التاريخ نرى أنه كُتب من قِبل أصحاب القوة والسلطة، ولا نرى أي طرح يُعبر فيه عن القوة المجتمعية الحقة. يستحضرنا هنا مقولة المؤرخ الفرنسي فرناند بروديل حيث قال في أهمية ربط التاريخ وعلم الاجتماع معاً:" إن التاريخ سوسيولوجيا، والسوسيولوجيا تاريخ". كل قوة لأصحاب السلطة، تبدأ التاريخ من نفسها فتقوم بإنكار ما قبلها. فالسومريون يبدؤون التاريخ من أنفسهم ويهمشون عشرات آلاف السنين التي عاشتها الإنسانية من قبلهم، والتي تُقدر مدتها ب 98% من عمر البشرية، فلولا اللوحات والآثار والرسومات والأساطير ما كُنا سنعلم أنه هناك عصر كانت فيه النِساء آلهات ومقدسات وعالِمات.

وما تقوم به أوروبا في عصرنا الحالي، هو نفسه ما قام به السومريون في العصور السابقة، حيث يبدؤون كل شيء من الحضارة الاغريقية وينكرون دور الشرق الأوسط. ولم يكتفى بهذا فمن اجل ان يتم التشهير بالحركات المناهضة قامت القوى المستبدة بإطلاق أسماء وصفات سيئة، حيث أطلق اسم البرابرة على المظلومين المناضلين. ومؤرخو العصور الوسطى أطلقوا اسم الساحرات على النساء اللواتي قمن بمقاومة الممارسات الجائرة بحقهن. ومن اجل ألا تتعرف المرأة على تاريخيها تم تسيير سياسة تعتيمية رهيبة. بحيث يصعب الحصول على معلومة بهذا الصدد فنحتاج لتصفح مئات المجلدات لعلى وعسى أن يكون قد مرَّ اسم امرأة في صفحة ما. هذا بالطبع ليس الشيء العفوي الظهور بل إنه أمر

مُخطط له جيداً، لأن تعرف النساء على تاريخهن ودورهن سيؤدي بهن الى التحقيق فيما تعشنه. بالإضافة إلى أن معرفة التاريخ تُكسب الإنسان الثقة بالذات. خاصة إذا ما عرفت المرأة ان جداتها كانت في يوم من الأيام آلهات، طبيبات، مخترعات، مقاومات، شجاعات. فإنها دون شك لن ترضى بالواقع الحالي وسيؤدي بها إلى البحث عما فقدته وكيف فقدته وعن طُرق استعادته لحقوقها.

يقول المفكر والقائد اوجلان:" إن التاريخ مخفي في حاضرنا ونحن مخفيون في بداية التاريخ، تاريخ عبودية المرأة لم يُكتب بعد، وتاريخ الحرية ينتظر الكتابة"، ولكي نتمكن من تطوير نضال مؤثر ضد النظام الذكوري الاستبدادي، ونظهر الحقيقة الاجتماعية الضائعة، هناك الحاجة الماسة لوعي تاريخي ولكتابة وتفسير التاريخ من جديد. من هنا فإن كتابة التاريخ برؤية موضوعية عادلة وتقييم التاريخ البشري بنظرة المرأة يعتبر أمراً أساسياً لعلم المرأة وذلك ليتأسس الحاضر على أُسس متينة، تكون جذورها غائرة في العمق التاريخي الإجتماعي. وإلا فإن الحركة النسائية المنقطعة عن جذورها التاريخية لا يمكن أن تقف بصرامة ضد الهجمات الشرسة التي تشنها الذهنية الذكورية.

5- التدريب والتربية

إن كانت التربية والتعليم والتدريب هي إعلام الأجيال الناهضة بنشاط وتجارب سابقة له، فلعلنا لن نشاهد تعريف أنسب ومفيد أكثر لهذا الجانب مثلما عرفه المفكر والقائد أوجلان، حيث قال في تعريف التربية والتعليم وتنشئة الأجيال: " بالإمكان تعريف التربية والتعليم على أنها جهود المجتمع في تلقين أعضائه عموماً وشبيبته خصوصاً، ومدّهم بخبراته، وجعلهم يتمثلونها على شكلِ معارف نظرية وعملية. فمجتمعية الأطفال تُؤمن حسب مدى كفاءة المجتمع في التعليم. أي أن تعليم الأطفال مِن أهمّ

وظائف المجتمع وليس السلطة والدولة، وذلك لأن الأطفال والشباب مُلك المجتمع. فتنشئة أطفاله وشبيبته بموجب تقاليده هو ووفق خصائص الطبيعة الاجتماعية، والعودة بهم إليه، هو حق وواجب في آن معاً؛ ويُعتبر موضوعاً مصيرياً، حيث ترتهن قضية إستمراره بوجوده. لذا، لا يستطيع أي مجتمع تسليم حقه في الوجود أو مشاطرة مهامه بشأن تعليم شبابه لهذا الغرض مع أية قوة أخرى. لا يمكنه تسليم حقوقه ومهامه تلك، حتى لو كانت القوة المذكورة هي الدولة أو مختلف أجهزة السلطة. فسوف يُعد مستسلماً لإحتكارات الهيمنة. تنبع قدسية حق التعليم من الوجود. ما مِن قوة أقرب من المجتمع إلى الأطفال والشباب، او ترى داعياً لأن تكون قريبة منهم أكثر منها، بما في ذلك الأم والأب. وإن إحدى أشد عداوات المدنيات تجاه المجتمع على مر التاريخ، هي نزوعها إلى حرمان المجتمع من أطفاله وشبابه. نظام المدينة الدولتية يُحقق ميوله هذه بطريقتين: أما أن يستعبدهم بعد القضاء على كِبارهم، أو يستولي عليهم بذريعة تعليمهم، للإستفادة منهم في طوابق السلطة".

الطبيعة كانت المعلمة الأولى للبشر، فالإنسان في مراحل تطوره تعلم منها الكثير، فتعلم اللغة، واستمع لدروسها، وأحس بها، لأنها رسمت له مساراً لقصة الإنسانية. في عملية التعلم هذه كانت المرأة الأم هي الطالبة الأكثر تفوقاً، حيث تعرفت على تأمين الغذاء واللباس والمأوى والتنقل بشكل جماعات والصيد وتقديس كل شيء، كل هذا تعلمته من مراقبتها للطبيعة، ومن ثم صاغته صياغة تتناسب مع الطبيعة البشرية. فكيفما أن البشر هم أولاد للطبيعة الأولى، فإن المرأة أيضاً لديها الكثير من النقاط المشتركة التي تجعلها أقرب الى الطبيعة. الولادة، الأمومة، العطاء، الدفاع، الرعاية والمحبة ...الخ، كلها خصائص تُقربها أكثر للطبيعة. لذا أصبحت المرأة الطالبة الأولى للطبيعة، وفي الوقت ذاته أول معلمة للبشرية وأم للمجتمع. كانت النساء تربي الأطفال الذين ينجبونهن بشكل مشترك، فالواحدة منهن

تكون أماً للجميع أيضاً. الدرس الأول الذي تلقنه كان بخصوص معنى وقوة المجتمعية. بتسمية أخرى كانت المرأة تنشر البذور الأولى حولها لتطور المجتمع الأخلاقي والسياسي. بالمقابل لم يرفض المجتمع عملية التعلم من المرأة، ولم يكن يكابر ويعتبر أن هذا سينتقص منه بشيء ما. فالأم التي تلد الأطفال، والتي تُنتِج وتكتشف المعالجة بالأدوية، حصلت على مكانة تقدير واحترام عالية لدى المجتمع.

لكن بتغيير النظام الاجتماعي وهيمنة النظام الذكوري السلطوي، أصبح حق الأم في تعليم أبنائها ومجتمعها في مرتبة أدنى، ذلك لأنه فقط وفقط يتم الإعتراف بكل ما يتم تعليمه في المؤسسات التعليمية الرسمية، ما عدا ذلك من وسائل تعليمية إجتماعية أُعتِبرت خُرافات لا يمكن الإستناد عليها. لهذا أصبحت فئة الأطفال والشبيبة وخاصة الذكور منها، أصبحت في قبضة براثن الدولة وسلطتها. لأنها أُبعِدت عن تعليم الأم التي هي بأمس الحاجة لها في مرحلة نشوئها. هذا النظام الجديد في التعليم، يُعتبر التشكل الفكري الأكثر خطورة على مرّ التاريخ، فهو يجرد الذهن من روحها، ليتحول إلى آلة تعمل وفق ما يُملا عليها، كما يطحن الأدمغة الفتية في طاحونة الفردانية، الليبرالية، لتصبح العقول جامدة ضمن قوالب تدمرها عندما تنتهي صلاحيتها.

الجدير بالذكر هو أن جميع مناهج التدريب الموجودة في يومنا، بدءً من المرحلة الابتدائية والى الجامعات كلها مُجهزة من قِبل الرجل. فالذين يقومون بوضع أسس ومناهج التعليم معظمهم من الرجال. لان نسبة النساء في مراكز التعليم العالي قليلة، ولأنه هناك تهميش للموجودات فإن النظرة السائدة والمؤثرة في تحضير المناهج الدراسية تكون من الرجال. بالطبع عندما نقول التدريب او التربية لا نقصد بها المدارس فقط. بل إن للعائلة الدور الكبير في تربية الطفل. ولأن المرأة أيضاً ومنذ الصِغر تنشأ وفق

النظرة الجنسوية فإنها تقوم بتربية أولادها وفق نفس الذهنية. لذلك نرى أن التعصب الجنسي والنظرة الدونية للمرأة تتطور وبشكل منظم بدءً من الطفولة وحتى سن النضوج او الزواج. فذهنية الطفلة والطفل تتشكل وفق التقاليد والأفكار السائدة في العائلة والمجتمع. بمعنى آخر، فإن التربية هذه، تخلق امرأة خانعة مطيعة ورجلاً ديكتاتورياً. بالطبع لا يقتصر الأمر على تدريب العائلة وحسب بل إن المناهج الدراسية تقوم بترسيخ هذه الرؤية لدى كِلا الجنسين. حيث نرى أن كل شيء يدعم دور الرجل ويهمش دور المرأة، إن لم يهمش كيان المرأة بأكمله. إن هذه السلسلة التدريبية تستمر إلى مرحلة الجامعة. فتؤدي إلى تكوين شخصية المرأة والرجل الناتجة عن هكذا تربية غير سليمة أن تكون شخصية هزيلة. وتؤدي إلى ازمة لدى كِلا الجنسين. لأن الذهنية التي تشكلت عليها تنعكس على العلاقات بين كليهما، سواءً ضمن البيت أو خارجه.

الشيء الآخر هو أن نظام التعليم الحالي أعلن إفلاسه في خلق الإنسان المتوازن في شخصيته، والمُبدع، والبعيد عن القوالب الذهنية القاتلة لروحه وفكره. فقد إستحوذ النظام التعليمي المُرتكز على بُنى السلطة، على أقدس حق لدى الانسان ألا وهو حقه في التعلم، إستولى عليه بقوة المال. ليتحول التعليم إلى سلعة يروج فيها لما تنتجه الحداثة الرأسمالية والليبرالية كأيديولوجية لها. فأصبح الإنسان كمن فقد وعيه، فلا عِلم له بالتاريخ ولا بالتجارب الكثيرة في عملية التربية والتعليم الإجتماعي. غائباً بذلك عن أن للشرق الأوسط تاريخاً عميق وآلاف التجارب في حقل التعليم. فقوى الحداثة الديمقراطية خلال مسيرتها الإنسانية من تاريخ الشرق الأوسط، طورت على الدوام بدائلها الإجتماعية القريبة من طبيعة مجتمعاتها. فما قصص والأنظمة التعليمية للأنبياء، ومدارس الحكماء والفلاسفة، وتكايا الدراويش والمتصوفين، الطريقة، المدرسة، الجامع، الكنيسة، المعبد، كلها إلا منابر كانت تصدح فيها الحناجر بأنقى الأفكار،

لِتُعلم أفراد مجتمعاتها بطريقة توجيهية سلسة، القيم والمعاني الاجتماعية، وتجعل من شخصيته أن تلتحم مباشرة مع ما يستقبله عقله.

من كل هذا نستنتج أنه هناك حاجة ماسة للتوقف على قضايا التعليم والتدريب سواء الطبيعي منه أي الاجتماعي أو المنهجي منه وهو ما يتلقى في المدارس والجامعات، وذلك بتحقيق تغيير في ذهنية التربية والتعليم، والذي يبدأ بتدريب النساء والرجال أياً كانت أعمارهم وفق منهج متحرر وديمقراطي.

لذا يعمل علم المرأة على أن يرسخ ثورة التربية والتعليم وفق خصائص المجتمع. وليتحقق هذا، فإن علم المرأة يقوم بتحضير الركائز التي ستعتمد عليها هذه الثورة والتي منها:

أ- يجب أن يكون التغيير في عملية التعليم معتمد على أن يكون لكل حقل من حقول العلم ذاتيه المنهجية، ولكن أن يكون ذو عُرى وثيقة مع الحقول الأخرى من العلوم. فكل حقل أو ميدان مثل السياسة، الاقتصاد، البيئة، الصحة وغيرها من المجالات ترتبط ببعضها البعض كإرتباط الظفر باللحم، فلا يمكن إهمال وإنهاء أحدها على حِساب إنتعاش الآخر. كمثال على ما نقوله، الانسان الذي يتعلم في مجال الاقتصاد مُجبر على أن يتناول في عملية تعلمه في علم الاقتصاد، علاقة الاقتصاد والبيئة، والاقتصاد والديمغرافية ...الخ من حقول وميادين تؤثر بالإقتصاد وتتأثر به.

ب- المكان الذي يتلقى فيه الإنسان دروس في علم ما مُهم للغاية. فتأثير المكان على نفسية المتلقي تؤثر بنفس الدرجة على عملية الإستيعاب والفهم أيضاً، فإما تجعل من العقول متفتحة أو تُغلق العقول تماماً. كمثال عليه؛ إن كان الإنسان الذي يدرس في مجال

البيئة يأخذ دروسه وهو في مكان مبني من طوابق إسمنتية فلن تؤثر هذه الدروس في نفسيته ولن يتلاحم مع ما يأخذه من دروس، وهنا يكمن الفرق إن كان الدرس في ابنية اسمنتية تتواجد بين المدن الصاخبة أو في قرية ما بين الطبيعة وبجانب الينابيع والبحيرات.

ت- بِقدر أهمية المكان ضمن العملية التعليمية فإن الزمان أيضاً مًهم، فالتعليم الذي لا يستحوذ على استيعاب المتلقين له ولا يغيّر من التفكير لديهم، فهو تعليم غير ناجح. لذا على العملية التعليمية أن تتساءل دائماً متى يكون التعلم؟ وماهي مدته الزمنية التي يمكنها فيها من تحقيق التغيير في الأشخاص والمجتمعات؟

ث- لتجاوز الإغتراب المفروض على علاقة المجتمع بالأنظمة التعليمية والتي هي جوهر وشكل الإنسان بذاته، فمن أكثر الأساليب والطرق الناجحة هي، أن يقوم كل مجتمع ببناء مؤسساته التعليمية من مدارس وأكاديميات بحسب طبيعته ومتطلباته وشروطه الذاتية، طبعاً ما نقصده هنا ليس إهمال أساسيات أي علم ما، بل ستكون هذه الأساسيات هي الأرضية التي سيتم بناء هذه المؤسسات عليها مع إضافة الخصوصية لها.

6- الديمغرافيا "علم السكان"

يملك التكاثر لدى كل كائن حي معنى وأخلاقاً وجمالاً. فلا يتغير جوهره هذا سواءً جرى معرفته بالصدفة أو عن طريق الذكاء أو بالغريزة. بحقيقة الأمر يُعبر التكاثر عن التنوع والديمومة في الحياة، لهذا يُعتبر سر من

اسرار الحياة، فهو من إحدى الوسائل الكثيرة التي يعبر فيها الكون عن نفسه واستمراريته، ومن أكثر تلك الوسائل التي تبعث على الغبطة والسعادة. ولتتحقق هذه الحكمة في عملية استمرار الكون، تقوم الطبيعة الأولى بخلق الأرضية المناسبة لعملية التكاثر، تلك الطبيعة التي نستصغرها في يومنا الراهن ونقلل من دورها ونصفها بالمتوحشة. بشر المجتمع الطبيعي واللذين يعتبرهم الكثير من أبناء عصرنا بأنهم متوحشين وهمج، كانوا على عكس البشر في وقتنا الراهن، حيث كانوا يولون كل الحب والقدسية للطبيعة، ووفقاً لهذا يروون أنفسهم أبناءً لهذه الطبيعة. وعندما يرغبون بإنجاب طفل كانوا ينظرون في شروط الطبيعة التي يحيون فيها وهل المأكل والمسكن لكلانهم متوفر أم لا، ومن ثم يتخذون قرار الإنجاب. ولعل أوضح مثال على ما نقوله هم ابناء قبيلة الآبورجيّن، حيثُ كانوا يعتقدون بأنه يمكن التواصل مع الأطفال اللذين من المحتمل ولادتهم ذلك من قبل أن يدخلوا رحم أمهم، ولهذا يسألونه إن كانوا يرغبون بالقدوم الى هذا العالم؟ وإن رغب الطفل بالقدوم حينها يتم الحمل أما إن رفض فحينها يجب ألا يتم الحمل، وذلك بإيقافهم للتكاثر بإرادتهم، وذلك إعتقاداً منهم بأن العالم الذي يحيون فيه قد خُرب وخرج عن إطاره الطبيعي. كانت المرأة الأم في تلك المجتمعات منبعاً لإتخاذ القرار. وبفضل المرأة الأم حصلت المجموعات البشرية في تلك الأزمان على توازن واستقرار وجودهم، حيث كان الوجود وقانون التكاثر في أسمى حالاته، لأنه كانت تربية الغريزة الجنسية تعتبر كحالة فطرية طبيعية. بمعنى آخر فكما الطبيعة التي معظم مكوناتها لا تتلقح إلا في العام مرة واحدة، هكذا كانت علاقات الجنسيين البشري فيما بينهما.

لكن مع مرور الزمن قبع المجتمع تحت سيطرة السلطة بدلاً من نمط الإدارة الاجتماعية التي كانت تتمتع بها المجتمعات سابقاً وذلك بقيادة المرأة. فأصبحت الغاية من الإنجاب ليس الحفاظ على استمرارية الوجود

بقدر ما تحول إلى ركيزة لبناء الامبراطوريات. ومع تطور مفهوم السلالة أصبحت هذه الإمبراطوريات والإمارات تفرض الانجاب من دون أية حاجة للمجتمع به، فقط لان السلطات تركز على الانجاب بغية تأمين من يخدم مصالحها، وحوصر الانجاب بولادة الجنس الذكري، المؤمن لاستمرارية سلطتهم على المجتمع. وهكذا تغييرَ مصير المرأة الأم لتصبح آلة تُستخدم للإنجاب فقط، إضافة لتغيير مصير الأبناء" ليكونوا عبيد بأيد القوى المهيمنة، وبذلك اعتيادياً يكون هدف ومصير الإنسانية برمتها قد تغيير.

إعتماداً على الأرضية التي بناها النظام السلطوي الذكوري عبر التاريخ، تقوم اليوم الدولة القومية والحداثة الرأسمالية بتقييم المرأة على أنها شيء أو مادة يمكن أن تستخدم كيفما تشاء من أجل ترسيخ هيمنتها وسلطتها على العالم. ومن أجل الحصول على أيادي عاملة رخيصة الثمن، وجيش يقوم بالنهب والاحتلال، يتم وضع ولادة الأطفال تحت هيمنتها، فيتم الترويج عبر وسائل الاعلام وعن طريق رجال الدين والأطباء والدساتير من أجل منع عملية الإجهاض أو تحديد النسل. وبالرغم من أن المرأة هي التي تتحمل كل أعباء الحمل ومسؤولية تربية الطفل وكل حاجاته المادية والمعنوية فإن قرار إنجاب الأطفال يعطي من قبل الرجل، من قبل الدولة، من قبل الدساتير والتي تكون معظمها تستخدم كمصنع ليس إلا. هذه الممارسات الجنسوية بقدر ما تؤذي جسد المرأة وتحطم من إرادتها وحقها في إعطاء القرار بحق ذاتها، بذلك القدر تجعل قضية الكثافة السكانية في العالم من أهم القضايا التي تؤدي الى مشاكل اجتماعية وبيئوية فظيعة. فإرتفاع نسبة الفقر، البطالة، الامراض، الجهل، العبودية والازمة الموجودة في العائلة وصلت الى حالة سرطانية. مع إنتقادنا لخروج عملية الإنجاب عن مسارها الطبيعي والكوني، فإننا في نفس الوقت ننتقد عمليات هندسة المجتمعات والتي تنظر إلى المجتمع بكل أفرادها وفي مقدمتهم

المرأة على أنهم مادة وسلعة يمكن إستخدامها كيفما تشاء السلطات. ولربما خير مثال على هذا هي نظرية توماس مالتوس الذي طرحها في القرن الثامن عشر أي في العصر المسمى بعصر التنوير. نظرية مالتوس " النمو السكاني" تطرح فكرة أن قوة نمو السكان تفوق قوة الأرض على إنتاج الغذاء، وبالتالي إن توفر للناس الوقت والغذاء الكافي سيستمر السكان بالتكاثر وهذا ما سينتج المجاعات والأوبئة والحروب التي ستجعل عدد السكان يقل بشكل كبير. لذا فالتقييد بالحد المالتوسي في التعداد السكاني هو من سينجي البشرية من الهلاك. هذه النظرية وغيرها من النظريات المشابه لها جعلت المجتمعات البشرية تواجه خطر أعظم بخصوص الكثافة السكانية، حيث عملت الرأسمالية بتطوير هذه النظريات بأنماط مختلفة لتصل لمرحلة تعمل فيها على هندسة المجتمعات في كل جوانب حياتها. وكأن المجتمع ظاهرة ليست حيوية بل هي مادة جامدة لا إرادة ولا وعي لها. لذلك ومن أجل معالجة هذه المشكلة التي تمس المرأة قبل كل شيء من الناحية المعنوية والمادية، يتوقف علم المرأة عندها، ويقوم بدراستها وتطوير طرق الحل لأجلها. فيعمل علم المرأة على التقدم والتطور بالذهنية التي تأخذ بعين الإعتبار الجوانب الفلسفية للإستمرارية المجتمعية للجنس البشري، والتي تنظر لعملية الإنجاب على انها حدث مجتمعي وليس فقط حدث فيزيولوجي. وليتحقق هذا لا بد من نضال يعتمد على ذهنية ونظرية إجتماعية تكون مفعمة بقدرة تنظيمية عالية. والأهم من ذلك توعية المجتمع وبالأخص لمناهضة النظرية المالتوسية وما شابهها من نظريات تطبق الآن على المجتمعات والشعوب والمرأة، لكن بالمقابل المعرفة الجيدة بالهدف من التكاثر وإبقائه ضمن مساره الطبيعي. وبذلك سيكون علم المرأة قد أوقف الإرهاب العديم الرحمة والمُطبق في يومنا من قِبل الرجل على جسد المرأة.

7- علم السياسة

يعتبر علم السياسة من المصطلحات التي يتم المناقشة عليها كثيراً. فهو مثل الكثير من المصطلحات التي تم تحريفها وربطها بالدولة والسلطة، إلا إننا ومثلما نقوم بتعريف الكثير من العلوم من جديد، فإن علم المرأة يقوم بالتوقف بشكل مُركز على هذا العلم أيضاً، مع إن النظام الذكوري يحاول طبع السياسة بطابعه وتعريف نظام إدارة الدولة بالسياسة إلا إنه ما يتم القيام به من قبل الدولة بعيدة كل البُعد عن السياسة، بما إن الدولة لا تهتم بما هو في صالح المجتمع فهذا يعني إنه لا يمكن تسيير السياسة اعتماداً على الدولة، لأن المسائل المتعلقة بالديمقراطية والحرية والمساواة يتم عرقلتها من قبل الدولة، فالدول تعني القواعد والقوانين في حين السياسة تعني الابداع، الدولة تقوم بإستيلاء على الموجود بينما السياسة تنشئ وتدير. الدولة هي حرفة في حين السياسة تعتبر فناً. السياسة هي القيام بأفضل الاعمال، والتي تعني بذل الجهد من اجل الحصول عليها، وهذا بحاجة الى البحث والمعرفة والعلم والتعرف بشكل جيد على الأعمال التي تمس مصالح المجتمع. عندما نبحث في التاريخ نرى أن النساء قمن بشكل دائم بتحقيق ما هو في صالح المجتمع، ولن يكون من المبالغ به القول إن أول من اهتم بمجال السياسة هي المرأة، لأنها وبحكم مسؤوليتها في تنشئة الأطفال وتحقيق أمانهم، وتأمين غذائهم وكل ما يتعلق بحياتهم فإنها مضطرة لممارسة السياسة، فإنها ومن اجل القيام بإدامة حياة اطفالها، عليها أن تبحث في أفضل الأعمال وأن تبدع في كيفية تحقيقها.

إن إضفاء القدسية على النساء في العصر الحجري الحديث وقيام النساء بدور الآلهة في ذلك الوقت يعود الى ما كن تقمن به من دور إيجابي في حياة المجتمع. بعد أن تتطور الدولة والسلطة والطبقية، نرى دور السياسة يهمش، لأن النظام الذكوري يقوم بتطوير الدولتية والسلطوية والطبقية

والعنف في المجتمع، فيتم طرد المرأة من النظام الإداري المشترك والذي كانت المرأة بذاتها قد أنشأته فأشركت الرجل معها في إدارة المجتمع. في الأساطير يتم التوقف على كيفية قيام الإله الرجل بطرد الإلهة إينانا من مجلس الآلهة بعد أن تعمل على إعادة ما سرقه الإله أنكي من مدينتها. والذي يعبر عن أنه بتطور الدولة من قبل الرجل نرى أنه ومع الزمن يتم إخراج المرأة كلياً من مراكز صنع القرار ويتم إدارتها من قبل الرجل كأي مؤسسة أخرى لا حول ولا قوة لها. وإذا ما بحثنا في الحكومات الموجودة نرى أن المرأة مازالت خارج مجلس الآلهة الرجال ومازالت مهمشة. لان الدولة تفتقر للديمقراطية وللحرية وللمساواة فهي تُدار فقط من قبل نخبة.

إن نسبة النساء في مؤسسات أكثر دول العالم ليست اعلى من 1-3 %، والذي بدوره يؤكد على انعدام الديمقراطية والمساواة في آليات الإدارة الموجودة والمُشبعة بإيديولوجية الحداثة الرأسمالية ألا وهي الليبرالية الفردية، والتي تُنشئ أساساً على إنهاء السياسة المجتمعية المفعمة بالأخلاق الإجتماعية. بعد أن تطور النظام الجمهوري، طرأت بعض التغييرات على نسبة مشاركة النساء، ولكن هذه التغييرات مازالت شكلية واستغلال المرأة من الناحية السياسية مازال مستمراً. فتعمل قوى الحداثة الرأسمالية بكل ما لديها من إمكانيات على استثمار قوة المرأة وقدراتها في سبيل إطالة عمر سلطتها واستعمارها. فتقوم بخداع النساء بشكل أو بآخر لتحصل على أصوات النساء في الانتخابات، ونتيجة حرمان النساء من الوعي السياسي نرى أنهن تنتخبن الرجال وتساهمن وبشكل موضوعي في ترسيخ الدولة والذكورة، مع العلم ان الحملات الانتخابية للكثير من رؤساء الدول كانت ضد المرأة ولا تنظر للمرأة غير انها متعة جنسية، إلا أن النساء قمن بالتصويت لصالح أولئك الرؤساء.

من هذا المنطلق تعتبر السياسة من المجالات الأساسية التي يتوقف عليها علم المرأة. كذلك يركز علم المرأة على ماهية علاقة الدولة، السلطة، الرأسمالية بما تعانيه المرأة من اضطهاد جنسوي. وكيف تُرك المجتمع الذي كانت السياسة نشاطه الأساسي وأبعد عن السياسة، وعلى الأخص العناصر التي تعبر عن ديناميكية المجتمع مثل المرأة والشبيبة كيف طردت هذه المكونات الاجتماعية الأساسية من مجال السياسة ولأية أسباب. وبما إن السياسة تعتبر فن الوصول إلى أفضل الأعمال، الى الحرية والمجتمع الكومينالي حينها يجب على المرأة أن تتعمق في هذا المجال وأن تؤسس آلياتها السياسية الخاصة بها، لأن الحرية المفتقرة لسياسة حقة لا يمكنها أن تحقق أي تطور. وليتحقق نضال ناجح ضد النظام الذكوري بكل ماهياته، تعمل الجنولوجيا على ترسيخ نظام الرئاسة المشتركة في كافة المؤسسات التي تتواجد على بقعة جغرافية متحررة من ذهنية السلطة والدولة.

فلكي يطور علم المرأة" الجنولوجيا" السياسة الاجتماعية، فإنه يعمل على توسيع رقعة النقاشات والبحث والكشف على أسس والميراث الذي تطورت فيها السياسة عبر التاريخ، ومن أين إنحرفت هذه السياسة عن مسارها، لذا فإن علم المرأة يحاول التقدم بذهنية الفرد والمجتمع معاً، ذلك لأن علم الاجتماع لا يكون علماً إن لم يكن جواباً مناسباً لكل حاجات مجتمعاتنا ويهتم بجميع العناصر المكونة للمجتمع وكافة مجالات الحياة فيه، وهذا بحد ذاته أكبر مبدأ أخلاقي اعتمد عليه المجتمع عبر تاريخه الطويل. إن كان هدفنا كمجتمعات وافراد هو تحقيق الحرية، فعلينا معرفة أنه لا خيار أمامنا سوى ترسيخ الاخلاق المجتمعية وتحميل السياسة الراهنة بها، حينها ستلتقي السياسة والأخلاق والضمير الجمعي للمجتمع لتكّون السياسة والتي ستكون بحد ذاتها العقل المشترك للمجتمع.

8- الصحة

الطبيبة الأولى بالتاريخ تعتبر نينهورساق، كما أن المريض الأول كان الإله أنكي، أنكي من قام بتدمير البستان الذي كانت تنمو فيه النباتات والاعشاب الشافية للبشر، هذا البستان كان يمثل معرفة ووعي الآلهة الأم التي كانت تخلق الدواء لكل داء. اذاً دعونا نتذكر بعضاً من خصائص الإلهة نينهورساق، حيث كانت سيدة البراري والجبال، وآلهة الشجرة التي كانت على علاقة قوية مع الأفاعي، آلهة لتمثل خصوصية الولادة والشفاء والخلود. ملفت للنظر جداً علاقة نينهورساق مع الأفاعي. التي كانت حينها رمزاً للشباب والتجدد. بعد آلاف السنين تصبح الأفعى الملتفة على عصا، رمزاً للشفاء والصحة أو بالأحرى رمزاً للطب. ولكن لينسى الكل ويتذكر القليل جداً بأن اليد التي خلقت تلك العصا وأمسكت بها كانت إنما هي يد المرأة.

الداء والدواء أيضا كانا من ميادين علوم الآلهة الأم. في عصور الآلهة كانت العديد من الآلهة الى جانب انهن إلهات كن تهتم بشفاء ومعالجة الأمراض، منها إينانا، عشتار، باو، كيبالا، ديميتر، وفي مصر إيزيس إلهة الخصوبة والصحة، وهيكات التي ترمز الى السحر والدراية بالأعشاب والنباتات عند اليونان، آماراتات هاورفاتات في الزاردشتية...الخ. مع مرور الزمن يتغير الترميز لهذه الآلهة، فتصبح بنات أو زوجات آلهة الطب وكمثال، في الميثولوجيا اليونانية إله الطب هو أسكليبيوس، بناته باناسيا وهي إلهة الدواء العام والعلاج العام الشامل، آياسو وهي إلهة التعافي من المرض، اسيسو وهي إلهة عملية الشفاء، آغليا وهي إلهة توهج الصحة الجيدة، هيجيا والتي كانت إلهة الصحة الجسدية والعقلية ومن عندها تأتي المقولة الشهيرة" العقل السليم في الجسم السليم"، وزوجته آبيونا كن معالجات وشافيات. هذه الإلهات كن

يمثلن كل جوانب الصحة، إلا أنه من يُعرف وتقام أكثر المعابد باسمه كان أسكليبيوس، بالرغم من أنه لن يكون كامل في طبه إن لم تتواجد بناته وزوجته، ولكن هذا ما لا يتم ذكره في التاريخ. مع مرور الوقت تم إنهاء وجود المرأة كلياً في مجال الصحة والطب. وتحول الطب للعلم الأكثر إنكاراً لجهود ووجود المرأة. فأُنكر كل دور لجداتنا وحتى أمهاتنا اللواتي الى يومنا الحالي يعملون على الحفاظ على صحة المجتمع وافراده من خلال ممارستهن للطب الطبيعي او كما يقال عنه في الكثير من البلدان (الطب العربي)، بالاعتماد على نتاج الطبيعة والحكمة والتجارب المأخوذة من الطبيعة الكونية. إن إنكار هذه المعرفة الملتحمة مع الطبيعة، في حقيقة الأمر هو تنكر لكل معارف وعلوم حكيمات وحكماء الشرق الأوسط، الذي قدم الكثير من المساهمات الطبية (الطبابة والتداوي بالأعشاب، إضافة الى اكتشاف بنية الانسان الجسدية وغيرها) عبر تاريخه الطويل. ولتأخذ بدلاً عنها النظرة التي تُفرض على المجتمعات وحتى في كل مناهج التعليم، على أن كل ما تطور كان منبعه الغرب أو بمعنى آخر أوروبا. فكما الفلسفة التي اعتبرت انطلاقتها الأولى من اليونان الاغريقية، كذلك تم الاستحواذ على كل المعارف الطبية وحتى رموزها وتصديرها للعالم على انها انتاج من المعارف اليونانية. ما نرغب بطرحه هنا ليس التقليل من النتاج الفكري للشعوب. بل التنويه الذي نركز عليه هو أن كل هذه النظرة الدونية لميراث الشرق الأوسط وللكثير من الشعوب الأخرى، وضعت الغرب في مركز كل ميادين الحياة، وخلقت الفدائح في حياة البشرية، والتي من ضمنها الشرق الأوسط. فاليوم في الشرق الأوسط أكثر مجال او ميدان تُعاش فيه الإبادة الاجتماعية، هو ميدان الصحة.

قضية الصحة في المجتمع من القضايا الحساسة جداً، ويحظى بأهمية قصوى. فأساس ووجود وحرية المجتمع العاجز عن صون صحته وسلامته بإمكانياته الذاتية، إما أنه مهدد بالخطر، أو مفقود كلياً. فالتبعية

في حقل الصحة، مؤشر على التبعية العامة. لذا فالمجتمع الذي حل قضاياه الصحية جسدياً وروحياً، يعني أنه يمسك بقبضة قوية قضية تحرره. فالأمراض المتفشية في المجتمعات المستعمرة على علاقة وثيقة بالنظام الاستعماري الذي تحياه. إن بسط النفوذ على ميدان الصحة كما التعليم أيضاً يتسم بأهمية فائقة بالنسبة للاحتكارات، إدراكاً منها باستحالة تملك المجتمع بالعنف العسكري المجرد بمفرده. لذا نرى اليوم بأن حقل الصحة أصبح الحقل الأهم الذي على المجتمع أن يطور آلية دفاعية له فيه. فمن جانب نرى انتشار الكثير من الأمراض والأوبئة التي تكون صنيعة للنظام العالمي لتُسلط على رقاب المجتمعات، فتُنشر هذه الأمراض من قبله بدراية تامة، ومن جهة أخرى يقوم هذا النظام بإنتاج الأدوية لتلك الامراض، وهكذا تجعل من صحة المجتمع مادة لتجارتها. لذا نرى الدول تتسابق في تسويق عقاقيرها وأدويتها للأسواق وذلك تحت مسميات مختلفة منها المساهمة الطبية والإنسانية. في هذه الحالة يصبح المريض هو الشاري، والنظام المنبع الأساسي للمرض هو البائع والتاجر المستفيد.

لم يقتصر التلاعب بصحة الفرد ومجتمعه على تصدير الامراض له، بل ليتم ضمانة فعالية هذه الأوبئة والامراض فقد حافظ النظام التسلطي العالمي على ابعاد الانسان عن كل ما هو طبيعي، بدءً من أكله وشربه ووصولا الى روحه. فأصبحت المواد الغذائية والماء والهواء والتراب كلها ملوثة. بمعنى آخر أن كل شيء يتم تسميمه والتلاعب بصبغياته وجيناته، فبدلا من الغذاء الطبيعي، تصبح المواد العضوية هي الأكثر انتشارا. من جانب آخر الضغط والتوتر في المدن وركوض الانسان صوب المدن ليبتعد عن الحياة الهادئة والطبيعية في الريف، وخلق حالة مرهقة نفسياً لدى الانسان في المدن، وانتشار الامراض مثل السرطان، الايدز، والكثير من الامراض التي لا توجد لها الى الان خريطة جينية تُعرف عن منشأها، كل هذا دلائل واضحة وضوح الشمس، تدل على ان

النظام العالمي وليضمن ربحه الأعظمي سيحافظ على المجتمع المريض جسدياً وعقلياً وروحياً. وليتحقق ذلك لابد من نشر فوضى صحية تُبقى الإنسان مريض دائماً. تكون هذه الفوضى بعض الأحيان مركزة على سكان جغرافية معينة، وفي بعض الأحيان تكون شاملة لكل أرجاء المعمورة.

ينبغي النظر إلى إنشاء المؤسسات الصحية وتأهيل المختصين الصحيين على أنه من أولى حقوق المجتمع وواجباته. أما إنتزاع السلطة والدولة هذه المهمة من يده، وجعلها حكراً عليها.، فيعني إنزال الضربة الكبرى على سلامة المجتمع وعافيته. من هنا فنضاله في سبيل حق الصحة، يعني حساسيته بشأن احترام ذاته وحريته. ولربما هنا ينبع الدور الأكبر لعلم المرأة، حيث أن من مهام هذا العلم هو ترسيخ ونشر مفهوم صحي علمي يعتمد على الميراث التاريخي الطبي لمجتمعاتنا وخبراتها وعلومها. وبالأخص علوم ومعارف النساء العالمات، المعالجات، اللواتي أُحرقن في زمن التطور الوحشي للرأسمالية، ومن الأهمية القصوى ان تُدمج هذه التجارب مع ما تبقى من التطور الطبي الراهن والبعيد عن الإحتكار، وذلك بتطوير الأكاديميات الطبية التي تعتمد على هذا الإرث الغني في تنشئة كوادرها الطبية. وبذلك يُخلق مجتمع سليم يكون فيه الفرد سليم.

الفصل الرابع

إنجازات علم المرأة "الجنولوجيا"

تتأتى أهمية علم الجنولوجيا من كونه العلم الذي يتيح للمرأة خلق دراسات خاصة عنها، لقد قام عقل الرجل بالاعتداء على المرأة بعد أن قام باستخدام المناهج البحثية وأهدافها وأدواتها ونتائجها بشكل منظم وممنهج ضد المرأة داعما معطيات دراساته بالميثولوجية والدين والفلسفة لذلك لا نجد بحثاً أو علم محايد يتطرق إلى حقيقة المرأة وقضيتها وهذا ما يدفعنا إلى التأكيد على ضرورة الجنولوجيا الذي هو علم اجتماع بديل عن العلوم الاجتماعية في يومنا هذا ومن أجل تطوير هذا العلم كان من الواجب تطوير البحوث والمناهج العلمية التي تبحث في حقيقة المرأة وخلق فرص تنوير وتحرير المرأة بشكل أعمق من كونه موضوعا جنسويا بل يجب أن تتم الدراسة باعتباره موضوعا جوهريا وضمن هذا السياق ومن أجل إفساح المجال أمام الأبحاث المتعلقة بعلم الجنولوجيا.

ومنذ عام 2011 تم النقاش وعقد المؤتمرات والمحاضرات من قبل حركة المرأة الحرة في كردستان حول الجنولوجيا، وقد تم هذا العمل وفق ثلاث خطوات أساسية وهي كالتالي:

1- وضع المصطلحات الخاصة بالجنولوجيا (termonolojî). والنقاش حول تلك المصطلحات، وذلك من خلال تبادل الآراء وطرح المناقشات وتطوير آليات التدريب.

2- تثبيت المصطلحات في الأبحاث العلمية التي تم إنجازها وطرحها من خلال عقد المؤتمرات والاجتماعات والنقاشات العلمية.

3- العمل على إنشاء مراكز الأبحاث العلمية، وضمن هذا الإطار تم افتتاح مراكز بحثية في شمال وشرق سوريا وفي عدة مدن أوروبية وأكاديمية خاصة بجنولوجيا.

في عام 2009 تم إدخال مادة الجنولوجيا إلى منهاج الصفوف الثانوية في مخيم مخمور. كما تم إدخال الجنولوجيا كمادة في المنهاج الثانوي في روج افاي كردستان (شمال سوريا) عام 2016 وتم افتتاح كلية جنولوجي في جامعة روج افا عام 2017.

وما بين أعوام 2013 و2016 تم عقد العديد من المؤتمرات في عدة مدن كان منها السليمانية وكولن الألمانية وباريس الفرنسية

تم البدء بنشر مجلة علمية ربعية عام 2016 باسم الجنولوجيا في شمال كردستان وتركيا0

وبين عامي 2017-2019 تم افتتاح العديد من مراكز أبحاث جنولوجي، في عدة مدن في شمال سوريا (عفرين ـ ديرك ـ منبج ـ كوباني -حسكة) كما يتم التحضير لافتتاح عدة مراكز في عدة دول0

إصدار بحث اجتماعي حول المرأة الكردية في روج افاي كردستان (شمال سوريا) كعمل مشترك بين المراكز البحثية، وذلك بهدف تسليط الضوء على المشاكل التي تواجهها المرأة في المجتمع. وأيضا تم إصدار بحث عن المرأة الشنكالية بهدف تسليط الضوء على ثقافة وميراث المرأة في الديانة الإيزيدية.

في عام 2018 عقد مؤتمر علمي على مستوى شمال وشرق سوريا، وبمشاركة سيدات كرديات وعربيات وسريانيات وأرمنيات وشركسيات وتركمانيات.

وفي إطار دعم الأبحاث تم إطلاق مشروع القرية النموذجية للمرأة (جينوار) والذي افتتح عام 2019 ليكون المشروع الأول من نوعه في الشرق الأوسط يتيح للمرأة الفرصة بالبحث عن حلول للمشاكل التي تتعرض لها النساء0

وإمعانا في نشر علم الجنولوجي في العالم تم البدء منذ عام 2015 وإلى يومنا هذا وبمشاركة الآلاف من النساء من معظم البلاد الأوروبية والنساء الكرديات إقامة مخيمات بحثية حول علم جنولوجي في أوروبا وأمريكا اللاتينية والبلاد الاسكندنافية. وافتتح مركز أبحاث جنولوجي في مدينة بروكسل عام 2018. وقد سبقه في عام 2017 افتتاح مركز أندرو ولف للنساء الأمّميات (Institute Andrea Wolf) في غربي كردستان.

وسيبقى تطوّر علم الجنولوجيا مرهونا بتطور نظرة المجتمع إلى المرأة. لأنّ مِغزل النساء الذي يدور منذ آلاف السنين، سيدور هذه المرّة لكي ينسج الجنولوجيا الذي يسهم في بناء مؤسسات لا تنهار أبداً ولا تُدمّر من الأصل، لأنها ستُبنى بشكل أصح وأسلم في مجالس الشعب، والكومينات، وأكاديميات الثقافة والفن، والاقتصاد، والبيئة، والسياسة، والصحة، والأدب، في القرى والأحياء، وفي الجامعات أيضاً والمجالات الأخرى في الحياة، وستنسج هذه المؤسسات كل ما تحتاج إليه الحياة الاجتماعية. ومن خلال النقاشات الجماعية سنضع الأسس حول كيفية نسج علم المرأة، وبأيّ عقلٍ حسي وشعوري، وبأي ذكاءٍ، وبأية أيدٍ فنية ومعرفيّة سيتم ذلك، وفي النتيجة سنخفف العبء عن بعضنا البعض. وسنشيّد الأكاديميات في المدن والأرياف لكي نستطيع تسيير نقاشاتنا هذه بحرية التي ستنعكس

على واقع المرأة في المجتمع وتسهم في حل مشاكلها وتعيد علاقتها بالطبيعة وتتيح الفرصة أمامها لاكتشاف تاريخها وتدوين هذا التاريخ بشكل ينصف المرأة ولايطمس دورها ويعيد بناء العلاقات الاجتماعية على أسس سليمة وعلى أسس الحياة الندية المشتركة التي تسهم في بناء الأسرة المتوازنة وبالتالي المجتمع المتوازن الديمقراطي.